ص٢

ص٥-٦-٧

ص٣

كلنا سوريون

سياسية ثقافية نصف شهرية

نحاول أن تكون فضاءً إعلاميّاً مفتوحاً على الشأن السوريّ، وتشارك السوريّين حياتهم في بلاد النزوح، ونسعى لأن تكون ساحة لتبادل الرأي وتبادل المعلومة، محاولة جادّة للمساهمة في صناعة إعلام سوريّ جديد وجدّي، يساهم بدوره في صياغة وعي وطنيّ سوريّ جامع، يؤسّس لصياغة الهويّة الوطنيّة الجامعة .

السنة الثانية | ٣/ نيسان / ٢٠١٥ | العدد - ٢٨ - | ١٢ صفحة | newspaper.allsyrians.org

ص١٠

ص١١

ص٨

ص٣

ص٨

ص٩

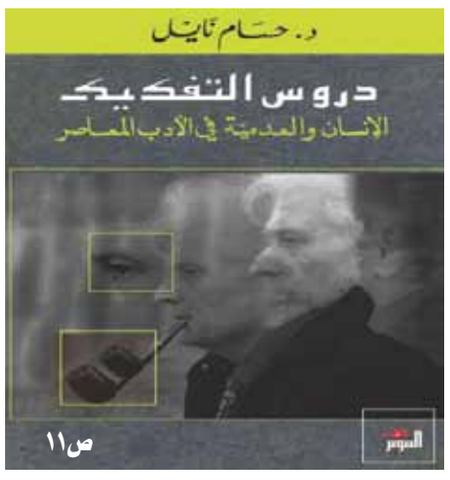

ص١١

سوريالـيّات

إدلب.. هنانو.. المبعوجة

يمكن القول إنّ أيّ إضعاف لتحالف «النظام – إيران» وتوابعهما هو انتصار أكيد للشعب السوريّ ... ولمستقبل سورية ... لكن هل يكفي هذا القول لتكتمل المقولة؟؟؟ ... لا بدّ لنا من إضافة وجه آخر لها لكي تتضح وهو: أنّ أيّ انتصار للقوى غير المدنيّة والديمقراطيّة هو إضعاف لسوريّة القادمة، وعقبة أخرى أمام صيغة عقدها الاجتماعيّ القادم، أي الصيغة المدنيّة الديمقراطيّة التعدّديّة ... التي حلم بها السوريّون وثاروا من أجلها.

يمكن القول أيضاً، إنّ كلّ هذا العفن الذي رفعت الثورة السوريّة الغطاء عنه وفضحته ... والـذي كان يتغلغل عميقاً ويصيب كلّ مفاصل الحياة في سورية، هو نتاج طبيعيّ لعقود القمع والتهميش وسحق الحياة المدنيّة والسياسيّة داخل المجتمع السوريّ وداخل مؤسّساته وهيئاته المدنيّة، والتي عمل عليها النظام السوريّ بمنهجيّة فائقة .... وهنا أيضاً لا يكفي هذا القول، إذ لا بدّ من إضافة أخرى، وهو أنّه لا انتصار على هذا العفن بإحياء عفن بديل ... فسورية القادمة لكي تنتصر لا بدّ لها أن تنتصر على العفن مهما تعدّدت وجوهه.

ما يحاول الكثيرون فعله هو إغراقنا - نحن السوريّين - في التفاصيل اليوميّة التي يبدعون ويتفنّنون بصناعتها ... تفاصيل تنسينا في غمرة الألم حقيقة ما نريده وما ثُرنا من أجله ... ننسى في تفاصيل موتنا اليوميّة أنّنا قمنا بثورتنا لأنّ النظام كان يمنع عنّا أيّ وجه للحياة ... ولم نقم لكي نتقاتل على تخوم طوائفنا... لم نقم لنبني دولة دينيّة، ولا لإحياء حروب طائفيّة ... ولم نقم لمناصرة دولة تبحث عن مصالحها في سورية ضدّ دولة أخرى تبحث أيضاً عن مصالحها ... لماذا إذاً ننسى ما قمنا من أجله ... ونستبدل سوريّتنا الحلم بتفاصيل تبعدنا كلّ يوم عن حلمنا؟؟.

إنّ تحرير إدلب ... لا يكفي للقول: إنّنا انتصرنا ... فالرقّة تحرّرت منذ زمن طويل، لكنّها في الحقيقة لا تزال غير محرّرة ... لنعترف إذاً، أنّ إخراج النظام من أيّة بقعة سوريّة هو انتصار للحلم السوريّ بالتأكيد، لكنّه ليس نصراً محقّقاً كما يشتهيه السوريّون، ولكي يكتمل هذا الانتصار فعلينا أن نشرع بالتأسيس للخطوة الثانية التي لا تقلّ كثيراً عن أهمّيّة الخطوة الأولى والمتمثّلة في هزيمة النظام وإخراجه منها.

إدلب اليوم هي مسؤوليّتنا جميعاً في منع تكرار تجربة الرقّة ... فليس التطرّف ما نريده مهما تبدّلت أسماؤه ... وتحطيم تمثال هنانو بالغ الدلالة ...لا لأنّه فقط تمثال لشخصيّة وطنيّة سوريّة لها رمزيّتها في وجدان السوريّين... إنّه باختصار تكثيف شديد لصراع ثقافتين وفهمين متناقضين لسوريّة التي يريدها السوريّون...

وإنّ مجزرة قرية «المبعوجة» ليست في عدد ضحاياها ولا في انتماءاتهم الطائفيّة فقط... إنّها تكثيف الصراع بين فهمين وثقافتين وصيغتين ... والحياد هنا وفي كلّ هذا الصراع بين هاتين الثقافتين هو مساهمة في إجهاض حلم السوريّين.

لم يبق أمامنا نحن السوريّين متّسع ولا دم يكفي لكي نتريّث في تسمية أعدائنا، حدّدنا عدونا الواضح والصريح عندما ثُرنا على هذا النظام، وألحقنا به كلّ من سانده، علينا الآن أن نحدّد أعداءنا الملتبسين والمقنّعين والذين هم بوضوح وبملء الصوت كلّ أشكال التطرّف والإقصاء والقتل مهما تعدّدت تسمياته ومرجعيّاته.

بسّام يوسف

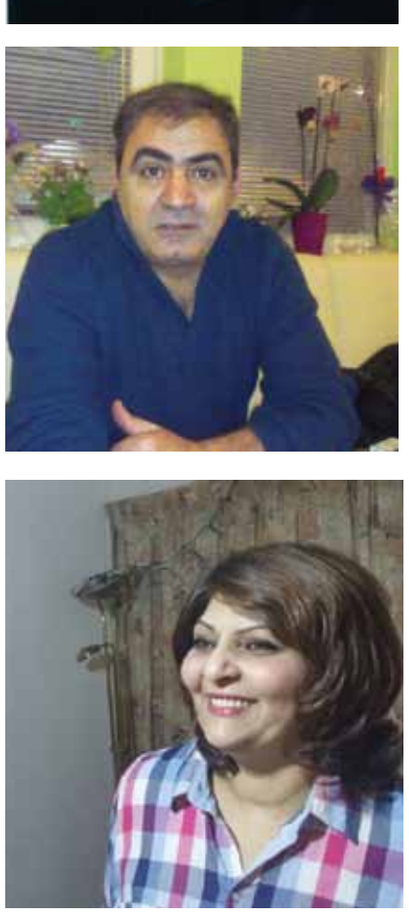

حوار العدد مع

«أحمد الرمح» الناطق الرسميّ باسم الحكومة السوريّة المؤقّتة.

- ننسّق مع جيش الفتح لتقديم الخدمات للمدنيّين
- إدارة إدلب مدنيّة من خلال الكوادر الوطنيّة من أبنائها
- نناشد المجتمع الدوليّ ليطبّق حظر جوّيّ ومنطقة آمنة

يتداول السوريّون الكثير من التساؤلات حول الأوضـاع الراهنة في مدينة إدلب ومستقبلها. ولاستيضاح موقف الحكومة السوريّة المؤقّتة، نقلت صحيفة «كلّنا سوريّون» بعضاً من هذه التساؤلات إلى الناطق الرسميّ باسم الحكومة الأستاذ «أحمد الرمح» فكان الحوار التالي:

- **تحرّرت مدينة إدلب من قوّات الأسد منذ أيّام، هل يوجد للحكومة السوريّة المؤقّتة، الآن، أيّ دور داخل المدينة؟**

الرمح:

سعت الحكومة المؤقّتة منذ اللحظات الأولى لتحرير إدلب للتواصل مع الجهات المعنيّة هناك للقيام بدورها وواجبها تجاه أهلنا في إدلب؛ وقامت باستنفار كلّ طاقتها ووجهت كلّ مديريّاتها للقيام بواجبهم حيال المواطنين هناك لتأمين ما يمكن تقديمه من خدمات مدنيّة وإنسانيّة؛ وجرى تواصل مع المجلس المحلّيّ لمدينة إدلب لرفع تقريره عن احتياجات المدينة لتنفيذها على وجه السرعة.

وقد تمّ إرسال دفعة من الحبوب حصّة شهر نيسان ٤٢٥٠ طن من الحبوب على أن تكون حصّة شهر أيّار ٨٠٠٠ طن سيتمّ إرسالها من أصدقاء الشعب السوريّ من خلال الحكومة المؤقّتة؛ كذلك تمّ تسليم مبنى مديريّة التربيّة في إدلب من حركة أحرار الشام لمديريّة التربية الحرّة التابعة للحكومة المؤقّتة، وقد مدّدت الحكومة المؤقّتة مدّة التسجيل لامتحانات الشهادة الثانويّة عشرة أيّام وستتكفّل بنفقات الامتحانات وتقوم بالإشراف عليها؛ وهناك فريق يقوم الآن بزيارة إدلب للاطلاع على واقعها وتقديم تقريره للحكومة عن الاحتياجات الإنسانيّة وخصوصاً ما يتعلّق بالناحية الصحّيّة والتعليميّة والمعاشيّة.

كلّ ذلك يتمّ من خلال التنسيق مع قيادة جيش الفتح؛ لتسهيل تقديم الخدمات للمدنيّين من جانب الحكومة.

- **يتخوّف الكثيرون من تكرار ما حدث في مدينة الرقّة من سيطرة «داعش» ما هي الخطط المستقبليّة للحكومة المؤقّتة في إدارة مدينة إدلب؟**

الرمح:

حاليّاً مجلس الـوزراء في حالة انعقاد دائم لوضع كلّ إمكانات الحكومة المتواضعة في خدمة مدينة إدلب المشهود لها بالنضال ومقاومة الاستبداد والمعروفة ببسالة أهلها وتفانيهم والتحامهم بالثورة منذ اليوم الأوّل لها. وكما قلتُ

تمّ توجيه مديريّات الحكومة المؤقّتة لتكون على الأرض حتّى تعرف عن قرب احتياجات المدينة؛ ونحن حريصون على تكون إدلـب نموذجاً يثبت أنّ الشعب السوريّ شعب يستحقّ الحرّيّة والكرامة وهو قادر على إدارة مؤسّسات الدولة بشكل مدنيّ ليؤسّس دولته المدنيّة الديمقراطيّة التعدّديّة؛ وقد تمّ الاتّفاق مع قيادة جيش الفتح على أن تكون إدارة إدلب مدنيّة من خلال الكوادر الوطنيّة من أبناء المدينة المشهود لهم بالكفاءة والوطنيّة والتضحيات وبحماية عسكريّة يتولّاها جيش الفتح.

- **في حال لم يتمّ تنفيذ حظر جوّيّ فوق المناطق المحرّرة، أو إيجاد مناطق آمنة، كيف ستؤدّي الحكومة وظائفها؟ وماذا عن انتقالها إلى الداخل السوريّ؟**

الرمح:

نحن نناشد المجتمع الـدولـيّ لكي يضغط باتجاه حظر جوّيّ ونطالب بمنطقة آمنة لتكون ملاذاً للمدنيّين من القصف الهمجيّ وغاز الكلور السامّ وطائرات النظام التي تدمّر وتقتل الأطفال والنساء والشيوخ وتهدّم البنى التحتيّة وتعمل على إفراغ المدن من أهلها كما نطالبه للقيام بواجبه ودوره حيال المدنيّين ليثبت مصداقيّة دعواه في حماية المدنيّين وحقوق الإنسان وليقدّم الاحتياجات الأساسيّة لهم من خلال دعم يجعل هؤلاء المرابطين في الداخل يعيشون بكرامة في بيوتهم ومناطقهم.

وأمّا مسألة الحماية فالحكومة تأسّست لتمارس عملها بالداخل وما يجري على من هم بالداخل يجري على طواقمها ولابـدّ من أن تتحمّل مسؤوليّاتها في ذلك - وهذا واجبها - لكي تكون قريبة من الواقع وسريعة في التجاوب مع المطالب الشعبيّة الخدماتيّة الإنسانيّة.

وهي حاليّاً ستكون متواجدة من خلال مديريّاتها ومجلسها المحلّيّ بالإضافة إلى الزيارات الميدانيّة لوزرائها ومسؤوليها وتعمل لكي تؤمّن تواجدها في إدلب على الوجه المطلوب.

ختاماً، نحن نبارك لأهل إدلب تحرّرهم من الطغيان والاستبداد ونطالب ونحثّ الفصائل كي تبقى متوحّدة فقوّتهم في توحّدهم ونقدر ونثمّن لهم بطولاتهم وتفانيهم وإخلاصهم، وإدلب معروفة تاريخيّاً بنضالها وبطولتها وأهل إدلب قادرون على إدارتها مدنيّاً بمساعدة الحكومة على أكمل وجه كما نتمنّى للجرحى والمصابين الشفاء العاجل ونترحّم على أرواح الثوار الأبطال الذين ضحّوا بدمائهم من أجل هذه اللحظة التاريخيّة وندعو الله أن يمنّ علينا بالنصر والتحرير لكلّ المحافظات السوريّة.

- **الأستاذ أحمد الرمح الناطق الرسميّ باسم الحكومة السوريّة المؤقّتة، شكراً جزيلاً لكم.**

حاوره بشّار فستق

في معارك التحرير المستمرّة..

مع دخول الثورة السوريّة عامها الخامس، تخبو الأحاديث عن الحلول السياسيّة، وتتصاعد لغة السلاح دون أيّة مؤشّرات على حسم عسكريّ، متغيّرات متلاحقة على الأرض، وتضارب في النظرة إليها حتّى بين أبناء الموقف الواحد، فما حصل في بصرى الشام من تحرير هادئ، وما تبعه في إدلب من تحرير مصحوب بكلّ ذلك الضجيج، وما حصل في محيط مدينة سلميّة من ضرب لحواجز النظام، وما تبعه من مجازر مروّعة في قرية المبعوجة، وما قد يحصل لاحقاً في مناطق مختلفة، يحمل العديد من الدلالات على توجّه المشهد السوريّ باتجاهات متباينة، قد يكون بغير الاتجاه المؤدّي نحو الخلاص، اتجاهات لابدّ من تحديد ملامحها، وأسباب وجودها، وعوامل استمرارها، كي لا يكون الطريق نحو الخلاص مبهماً، وكي يتمكّن جميع الباحثين عن خلاص فعليّ من السير نحوه.

لاشكّ بأنّ ما أقدم عليه النظام منذ بداية الثورة وحتّى اليوم، من قتل للمدنيّين، وتصفيات للمعتقلين، وتدمير للتجمّعات السكنيّة، يجعل من كلّ معركة تؤدّي لإخراج ذلك النظام من أرضها، معركة تحرير جزئيّة في سياق معركة تحرير شامل، من ذلك النظام الإجراميّ، ومن كلّ المحتلّين، الذين استدعاهم لحمايته، أو الذين شرّع لدخولهم عبر عنفه المفرط، من إيرانيّين وعراقيّين ولبنانيّين، ومن تونسيّين وشيشان وجهاديّين آخرين؛ كذلك فإنّ ما يُقدم عليه النظام من قصف همجيّ للمنطقة التي يفقد السيطرة عليها، في ظلّ الغياب لأيّ رادعٍ عربيّ أو دوليّ، لا يلغي ضرورة الاستمرار في عمليّات التحرير، إلى جانب الضغط بكلّ الوسائل لحماية المدنيّين من تلك الهجمات الوحشيّة، في ظلّ الضعف المستمرّ لقوّة النظام البشريّة، وتراجعاته المتلاحقة في السيطرة على الأرض السوريّة، والتي عبّر عنها رأس النظام مؤخّراً، بالاستمرار في القتال من أجل كسب السوريّين، لا من أجل الأرض والمواقع، كسباً على طريقته الإجراميّة، التي خلّفت حتّى الآن، مئات الآلاف من الضحايا، والملايين من النازحين والمشرّدين.

إنّ تلك المعارك التي يخوضها العديد من أبناء الشعب السوريّ، والدماء التي تقدّم من أجلها، لا يمكن النظر إليها من خلال الشعارات والرايات ذات الطابع الدينيّ المتشدّد فحسب، فإذا كانت تلك المناطق المحرّرة من قبضة النظام تشهد العديد من التحوّلات السلبيّة، بفعل السيطرة الجديدة للتنظيمات المسلّحة التي تقود عمليات التحرير، ولغياب القوى المدنيّة القادرة على إدارتها، حيث سادت الفوضى المخيفة، في معظم المناطق التي سيطرت عليها الكتائب والألوية المنضوية تحت مسمّى الجيش الحرّ، وحيث طبّقت أحكام القرون الغابرة الظلاميّة، في المناطق التي سيطرت عليها «داعش»، وحيث يمكن أن لا تخرج عن تلك السياقات المشابه، المناطق التي تتمدّد سيطرة جبهة النصرة عليها اليوم، فإنّ تلك التحوّلات قد لا تكون سوى تحوّلات عابرة، إذا كان القائمون عليها من وافدين وبعض السوريّين، ليسوا أكثر من بضعة آلاف، يفرضون بقوّة السلاح، كلّ ما هو بعيد عن قناعات السوريّين وحياتهم الاجتماعيّة، وإنّ ذلك الانفلات المرعب، ليس إلّا نتيجة للتماهي الذي كان سائداً بين مؤسّسات الدولة وأجهزة النظام، والذي لا يعوّل على بقائها طويلاً وعلى امتداد الأرض السوريّة، في ظلّ ذلك التآكل المتصاعد لأجهزة النظام، والذي لن يُحلّ، سوى عبر البدء بمؤسّسات دولة جديدة، لا عبر إقامة مؤسّسات أهليّة ضيّقة، أو شرعيّة وفقاً لرؤية من يحميها من مسلّحين.

الشعب السوريّ وعلى اختلاف مكوّناته وتوجّهاته، لم يدخل - وكما تظهر الوقائع - في أيّ صراع أهليّ عام، فعلى الرغم من كلّ ما حدث، في السنوات الأربع الماضية، من تجييش طائفيّ وعرقيّ، ومن مجازر ومآسي كبرى، ظلّ الشعب وبكلّ أطيافه بعيداً عن أيّ صدام مباشر، وبقي شعباً مسالماً باحثاً عن لقمة عيشه وكرامته، رغم الجوع والقتل والتشريد، وإذا كان قسم مهمّ من أبنائه قد لجأ إلى حمل السلاح، في مواجهة أعتى أنواع الدكتاتوريّات في العالم، وأكثرها عنفاً وإجراماً، فإنّ ما يصدر عن البعض من مواقف إسلاميّة متشدّدة، رعتها وغذّتها التنظيمات الجهاديّة الوافدة وداعميها، لم تصل إلى حدود التطرّف والتكفير والإرهاب، كسلوك غريب ومستهجن في المجتمع السوريّ، وكسلوك مرتبط بالوافدين القادمين باسم الجهاد، من تلك المجتمعات الإسلاميّة والغربيّة التي نشأ وترعرع فيها، كما تدلّل تلك الحوادث المتعلّقة بذلك، ومنها ما يتعلّق بتحطيم تماثيل الرموز التي يجلّها كلّ سوريّ، من المعريّ إلى هنانو. كذلك، فإنّ ذلك القسم من أبناء المجتمع السوريّ الذي اختار الدفاع عن بقاء النظام، ملتجئاً إلى المشاركة في أساليبه العنفيّة والإجراميّة، من تشبيح وذبح وقتل، أو مسانداً لاستمراره في المناطق التي يسيطر عليها، سعياً إلى المزيد من المكاسب الشخصيّة، أو خوفاً من حكم إسلاميّ قادم، فإنّه لابدّ على من يرفض أن تتلطّخ يده بدماء أبناء وطنه، أن يعيد النظر في رؤيته لحقيقة ذلك النظام، لكي يخرج من دائرة الموت التي يرميه النظام إليها، في تحديه الفظّ لكلّ حلّ سياسيّ، وأن يشارك مع كلّ السوريّين في بناء دولتهم الجديدة.

بكلّ هذه المؤشّرات التي لا يمكن القفز عليها، لا تبدو إمكانات الشعب السوريّ قادرة على تلمّس طريق الخلاص، ما لم تتوفّر لهم المساعدة الحقيقيّة والعربيّة أو الدوليّة، ففي ظلّ نظام يمتلك كلّ وسائل الدعم المطلقة، من مال وسلاح، ومن ميليشيات حقد طائفيّ تستهدف وجود أكثر من ثلثيّ السكّان، وفي ظلّ تنظيمات إسلاميّة، تبحث عن سيادة على مناطق سوريّة محدّدة، رغماً عن قاطنيها المتمتّعين بالنظرة الأكثر اعتدالاً للدين من كلّ شعوب المنطقة، مساعدة تخضع للعديد من التوازنات التي يجري إعادة رسمها في المنطقة، توازنات لم يعد مجدياً الرمي بعيداً لرؤيتها، كمحاربة للإمبرياليّة وربيبتها، التي خرق أبواق النظام آذاننا بها طيلة عقود طويلة من الزمن، في ظلّ وقائع يجري تنفيذها بشكل فعليّ، في العراق وسورية ولبنان واليمن.

لؤي حاج بكري

مؤتمرات التصنيف

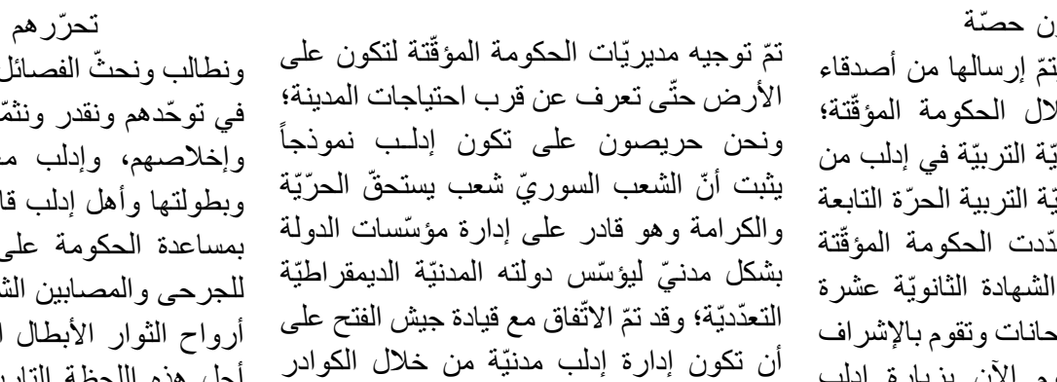

إنّ ما تشهده الأوساط السياسيّة والثوريّة السوريّة هذه الأيّام يمكن أن يوضع تحت عنوان عريض مختصر: «الهرج والمرج»، ففي الوقت الذي تحقّق فيه الثورة انتصارات ميدانيّة كبرى مثل تحرير إدلب والتقدّم الكبير للجيش الأوّل في الجنوب، في الوقت ذاته نرى تراجعاً كبيراً للفعل السياسيّ السوريّ لدى المعارضة وصل إلى مرحلة الإفلاس السياسيّ بعد تفريغه من مضمون التمثيل الشرعيّ «سياسيّاً» بعدم دعوة الائتلاف الوطنيّ لحضور مؤتمر القمّة العربيّة في القاهرة، بل ووضع علم النظام الديكتاتوريّ أمام الكرسيّ الفارغ للجمهوريّة العربيّة السوريّة، الذي رغم فراغه أوصل بذاك العلم تغيّر نظرة الجامعة العربيّة للممثّل الشرعيّ للسوريّين، يرافق ذلك إفلاس ماديّ، حيث هناك حالة من تجفيف الدعم الرسميّ من قبل المجتمع الدوليّ للجهات «الرسميّة» للمعارضة السوريّة المتمثّلة بالحكومة المؤقّتة والائتلاف الوطنيّ، وحتّى باقي منظّمات المجتمع المدنيّ الناشئة، وذلك التجفيف ليس مرتهناً بالأوساط المدنيّة، بل بالفصائل المقاتلة على الأرض، ذلك الاضطراب الذي أحدثه الإفلاس السياسيّ والماديّ أدّى إلى حالة الهرج والمرج وحتّى إلى حالة من الانفصام عن الواقع السياسيّ والميدانيّ، فالائتلاف الوطنيّ يصدر مرسوماً برفع حالة الطوارئ في سورية! بينما حكومة الطعمة تعلن أنّها ستنتقل إلى الداخل لتمارس عملها من مدينة إدلب؛ رغم أنّ أجزاء كبيرة من حلب محرّرة قبل حتّى نشوء الحكومة!!

وبعيداً عن مدى قبول الفصائل التي حرّرت المدينة وعلى رأسها جبهة النصرة وأحرار الشام لهذا الطرح من عدمه، فإنّ الحكومة المؤقّتة هي مفلسة تماماً اليوم، الأمر الذي يعلمه القاصي والداني، فما الذي تستطيع فعله؟

إنّ طروحات الائتلاف الوطنيّ والحكومة الدونكيشوتيّة للأسف لا تعبّر إلّا عن حالة واحدة نطلق عليها في أدبيّاتنا الفلكلورية «صحوة الموت». في ظلّ هذا التخبّط والعطلة السياسيّة للمعارضة، ومع انشغال المجتمع الدوليّ (على الأقلّ الجزء الفاعل منه في القضيّة السوريّة) بالمعركة العسكريّة القائمة حول اليمن، والسياسية القائمة حول الملفّ النوويّ الإيرانيّ وحالة الاضطراب التي خلقها الإهمال المتعمّد للوضع السوريّ هناك العديد من الخيارات المرميّة أمام السوريّين، مؤتمر موسكو، ومؤتمر القاهرة، وما سيتمخّض عنه ديمستورا، لم كلّ ذلك؟ أي ما الذي سينتجه مؤتمر مصر السيسي مختلفاً عن مؤتمر روسيا بوتين، وهل من اختلاف؟ أم أنّ طبيعة العواصم وموروثها من التعامل مع القضيّة السوريّة هو المختلف؟ هل من الممكن أن تكون تلك المؤتمرات مؤتمرات تصنيف للمعارضة السوريّة؟ أي أنّ من يرفض سقف موسكو قد يقبل بسقف القاهرة، ومن يرفض سقف القاهرة قد يقبل بالحلّ الأمميّ (جنيف) ومن يرفض التفاوض بمجمله. وبذلك تصنّف المعارضة السوريّة إلى مجموعات لا يبقى على المجتمع الدولي إلّا أن يختار منها ما يتناسب مع الطرح الذي يتصوّره، ليمارس على المجموعة المختارة نوعاً من «الاصطفاء الطبيعيّ» بطريقة معكوسة فيجعل من المجموعة المصطفاة المجموعة الأقوى، من خلالها يكون الدعم العسكريّ والمدنيّ وبعض الدعاية السينمائيّة وكاريزما جيّدة للبعض، وتصبح الأكثر وطنيّة.

إنّ سورية اليوم في ظلّ ما تعانيه من الديكتاتوريّة والتطرّف من قبل النظام إلى جانب مفرزات الفوضى الأصوليّة والشموليّة هي أكثر ما تحتاج إلى جسد سياسيّ جديد قادر على التواصل مع المجموع الثوريّ ومع باقي أبناء المجتمع السوريّ ليصيغ مشروعاً وطنيّاً ممثّلاً بشكل فعليّ لكلّ أبناء سورية، مشروعاً ليس على قياس فصيل، ولا على قياس حتّى ثورة، ولكن على قياس وطن، كما على هذا الجسد أن يدرك المصالح الدوليّة في ذلك الموقع الجيوسياسيّ المهمّ لسورية، وأن يعمل لكي يجعل تقاطع تلك المصالح تناسب مشروعه الوطنيّ لا العكس، فيحقّق الثنائيّة الذهبيّة للحلّ في سورية. الأمر لا يحتاج إلى مثاليّة، وإنّما يحتاج إلى رجال يحترمون أنفسهم ويقرؤون السياسة بشكل صحيح ويخلصون في العمل.

رعد أطلي

الأوضاع العسكريّة في مدينة إدلب وما حولها

بعد تحرير معسكريّ (وادي الضيف والحاميديّة) كخطّ دفاعيّ بعيد عن مدينة إدلب، تشكّلت غرفة عمليّات جيش الفتح التي استطاعت وضع خطّة محكمة راعت خطوط دفاع النظام المتوسّطة والقريبة، وبدراسة متقنة شملت كلّ مفاصل القوّة للنظام والميليشيات الشيعيّة المتعدّدة التي تسانده، كانت الخطوات الأولى لإعلان «غزوة» إدلب التي أطلقها جيش الفتح في محافظة إدلب وريفها لتحرير المدينة التي استعصت على أكثر من محاولة لتحريرها.

المعركة خطّطت لمراحل وبدأت مرحلتها الأولى بتمهيد مدفعيّ وبمئات الفوّهات من الأسلحة الصاروخيّة والمدفعيّة والهاون، واستهدفت فصل الخطّ الدفاعيّ الأوّل البعيد المحيط بإدلب عن خطّ الدفاع الثاني.

يتمثّل الخطّ الدفاعيّ الأوّل الذي وضعه النظام عن مدينة إدلب بمعسكر المسطومة على الاتجاه الجنوبيّ وحاجز القرميد والتنمية وحاجز بنّش على الاتجاه الشرقيّ إضافة إلى حاجز معمل الكونسروة على الاتجاه الغربيّ، أمّا خطّ الدفاع الثاني والمتمثّل بـ (٢٥-٣٠) حاجزاً صغيراً تتموضع على كورنيشها الذي يحيط بالمدينة من جهاتها الأربعة.

العزل بالنيران الذي حقّقته الفصائل المهاجمة وقطع الشريانين الأساسيّين لإمداد قوّات النظام، إن كان عبر خطّ أريحا - المسطومة - إدلب، أو عبر الشريان الواصل من قريتي الفوعة وكفريا، واللتان تحويان معظم الشيعة القادمة من حزب الله والحرس الثوريّ الإيرانيّ والباسيج وأيضاً كافّة المرتزقة الشيعة القادمين من بلدان أسيويّة مختلفة، هذا العزل والقطع مكّن فصائل جيش الفتح من التقدّم والوصول إلى تخوم المدينة واقتحام الدفاعات المباشرة للنظام، وساهم بانطلاق المرحلة الثانية والانتقال نحو حدود المدينة والبدء بالتعامل مع الحواجز الصغيرة المتوزّعة على مداخل المدينة الأربعة.

المرحلة الثانية بدأت ومعها بدأ الانهيار السريع لمعظم الحواجز وخاصّة في الجبهة الشرقيّة، والمتمثّلة بحواجز (سادكوب والإنشاءات والمحلج والمسلخ ومعمل الغزل القديم والجديد والأعلاف)، ممّا سهّل الاندفاع نحو الداخل والبدء بحرب عصابات وحرب شوارع يتقنها الثوّار أكثر من غيرهم، والجبهة الشماليّة لإدلب التي تضمّ حواجز (صباح قطيع والرام، والسكن الشبابيّ والجامعة) لم تكن بأفضل من مثيلاتها في الشرق، فسرعان ما انهارت تحت ضربات الثوّار ومهّدت لهم بالدخول نحو بقيّة الأحياء السكنيّة، وبهذا الخرق من القطاع الشماليّ والشرقيّ ولحق بهما فيما بعد تقدّم ميدانيّ من الجهة الغربيّة التي استعصت باليومين الأوليّين ثمّ ما لبث أن تقدّمت كتائب جيش الفتح إلى داخل أسوار إدلب وبدأت الحرب من الداخل.

أهالي قريتي الفوعة وكفريا الذين أعدّهم النظام واعتبرهم كخزّان بشريّ وقلاع عسكريّة بما ضخّه داخلهما من آليّات عسكريّة ثقيلة وميليشيات شيعيّة من حزب الله وإيران والمرتزقة، خذلوه ومنعوا أيّة مساندة أو مؤازرة تخرج لإدلب ليس وقوفاً مع الثورة، ولكن لإدراكهم أنّ أيّ دعم للنظام لن يغيّر بمصير المعركة، وأنّ أيّة قوّة تتوجّه لإدلب لدعم النظام فإنّها لن تعود وستحاصر أو تدمّر هناك، هذا الموقف كان له موقفاً مشابهاً له في شوارع وأحياء اللاذقيّة التي اشتبكت فيها شبّيحة ميليشيات الدفاع الوطنيّ مع مخابرات النظام بالأسلحة الرشّاشة وخاصّة في حيّ (دعتور بسنادا) بعد امتناعهم عن تشكيل قوّات مؤازرة للنظام تتوجّه إلى إدلب، بعد سماعهم لأصوات سيّارات الإسعاف وهي تدخل المدينة قادمة من إدلب، محمّلة بعشرات الجثث والمصابين، أو عبر أصوات السيّارات التي تجوب شوارع المدينة طالبة من الأهالي التبرّع بالدم في المشافي العسكريّة والمدنيّة هناك.

طائرات النظام التي لم تغادر سماء إدلب وألقت بصواريخها الفراغيّة وبراميل موتها على كلّ ما يتحرّك تحتها، وكثيراً ما أخطأت أهدافها وأصابت مواقع النظام، كما حصل عندما استهدفت مبنى فرع المرور في إدلب، وعندما كانت تعجز تلك الطائرات والحوّامات عن اكتشاف أماكن تموضع الثوّار، كانت تذهب للانتقام من المدنيّين في القرى المحرّرة بإمطارهم بكلّ ما تحمل من ذخائر لتستهدف الشيوخ والنساء والأطفال الآمنين في القرى والبلدات المحيطة لإدلب مثل (سرمين وبنّش، وسراقب وقميناس)، وحتّى السلاح الكيميائيّ تمّ استخدامه لمرّتين عندما استهدفت حوّامات النظام قرى (سرمين وبنّش) ببراميل تحمل غاز الكلور في خرق جديد يضاف لـ (٣٦١) خرقاً سابقاً لقرارات مجلس الأمن، الأمر الذي أوقع الكثير من المصابين بحالات اختناق تمّ نقلهم لأقرب المشافي الميدانيّة وأصحاب الحالات الخطرة تمّ إسعافهم للمشافي التركيّة عبر بوابة باب الهوى.

بعد السيطرة على الجوانب، تابعت المعارك لتدور قريباً من المربّعات الأمنيّة في الجهة الجنوبيّة، وليصبح الطريق مؤمّناً وسالكاً نحو إكمال التحرير وتخليص إدلب من براثن عصابات مجوسيّة صفويّة أسديّة أذاقت أهل إدلب الويلات. وبتقدّم متزن من المحاور الثلاث شرقاً وشمالاً وغرباً مع ترك الجبهة جنوبيّة تحت السيطرة ومنفذاً لهروب قوّات النظام، وهذا ما تسبّب بانهيار سريع في منظومات الدفاع العسكريّة والأمنيّة والمدنيّة، ومهّدت لهروب القيادات العسكريّة والأمنيّة من داخل إدلب إلى معسكر المسطومة (مقرّ القيادة العسكريّ الرئيسيّ)، وفرار القيادات المدنيّة إلى جسر الشغور، وأثناء هروبها ارتكبت عصابات النظام آخر ما استطاعت من إجرام بقتل كلّ سجناء فرع الأمن العسكريّ بإعدامهم ميدانيّاً في زنازينهم.

هذا الواقع، أوجد حالة من الارتباك والفوضى والتشتّت على قوّات النظام ساهم بسرعة التحرير وحقّق نصراً أقلّ ما يقال عنه إنّه نصر استراتيجيّ سيغيّر من المعادلات العسكريّة على الأرض، وسيكون له ارتدادات سياسيّة تقلب الأوضاع وتغيّر من كافّة الموازين التي كانت تتحكّم بالثورة السوريّة عربيّاً وإقليميّاً ودوليّاً.

الآن، إدلب تعيش فرحة تحريرها وجيش الفتح مزهو بنشوة الانتصار، الآن تستكمل العمليّات العسكريّة التي تدور الآن حول معسكر المسطومة وحاجز معمل القرميد وأريحا لإبعاد النظام عن كامل مدينة وريف محافظة إدلب، لكن وبعد هدوء غبار المعركة التي لم تنقشع بعد، لابدّ أن تكون هناك صورة مشرقة نقدّمها للمجتمع الدوليّ عن كيفيّة إدارة أهل الثورة لمناطقهم المحرّرة عبر حراك مدنيّ ومجالس محليّة من الداخل تقوم بتسيير أمور المدينة وترعى مصالح أهلها.

هناك بوادر طيّبة ظهرت من غرفة عمليّات جيش الفتح من خلال إصدار بيان بالحفاظ على مؤسّسات الشعب وحمايتها ومنع تشكيل أيّة مقرّات عسكريّة للفصائل المسلّحة داخل إدلب ومنع أيّ مظاهر مسلّحة بمجرّد استتباب الأمن داخل المدينة، وكانت هناك لفتة من جبهة النصرة التي أعلنت عن حماية المسيحيّين المتواجدين داخل إدلب، بل ووضعت على عاتقها حماية احتفالاتهم بعيد الشعنينة الذي يصادف هذه الأيّام، أيضاً البيان الذي أصدرته حركة أحرار الشام من أنّه لن تكون هناك أيّة إمارة أو خلافة وأنّ إدلب سيقودها حراك مدنيّ من أهل إدلب فقط.

وكان الائتلاف وكذلك الحكومة المؤقّتة أعلنوا عن إمكانيّة انتقالهم للداخل، ولكن لا أعتقد أنّ لهذا الإعلان أيّة قدرة على التنفيذ نظراً لفقدانهما أيّة مصداقيّة لدى الشعب السوريّ بالداخل، وأنّ رصيدها في الداخل لا يزيد عن رصيد «إبليس بالجنّة».

بيانات غرفة عمليّات جيش الفتح تبعث بشيء من الطمأنينة بالنفوس وتبقى العبرة بالتطبيق، فالنظام الذي يضخّ هالة إعلاميّة كبيرة مردّداً أنّ ما سيحصل بإدلب سيكون مشابهاً لوضع أهل الرقّة في ربط خبيث بين جيش الفتح ومجرمي تنظيم الدولة الإسلاميّة «داعش»، ويقوم النظام الآن بحرب انتقام همجيّة تمثّلت بعشرات الغارات الجويّة وبراميل الموت المحمّلة بغاز الكلور إضافة إلى صواريخ السكود الذي تسبّب أحدها بتهدّم ثلاث أبنية على من فيها، مع العلم أنّ مدينة إدلب يعيش فيها الآن ما يزيد عن ٢٠٠ ألف مدنيّ معظمهم من الشيوخ والنساء والأطفال.

بالطبع هذا التغيير العسكريّ لميزان القوى وخارطة التوضّع سيكون له انعكاسات وارتدادات على الصعيدين العسكريّ والسياسيّ. عسكريّاً – ميدانيّاً، الوضع الجديد سيضيق الخناق على النظام في جبهة حلب التي تصبح فيها قوّات النظام شبه معزولة وبعيدة عن أيّ خطوط إمداد بريّة ويبقى مطار حلب متنفّسه الوحيد، وأيضاً ستشكّل تلك القوى التي تحرّرت من جبهات القتال في إدلب جهوداً عسكريّة قتاليّة تضاف إلى جبهات حلب وحماه والساحل.

على الصعيد السياسيّ بالطبع سيكون لتحرير إدلب تغيّرات يفرضها الواقع الجديد، يضعف من قوّة النظام ويقوّي من موقف الثورة، ولكن هناك مشكلة تتمثّل بتأمين الدفاع والحماية الجويّة عن المدينة فهذه معضلة ستقلق المجتمع الدوليّ، فلا يمكن ترك مدينة بكاملها تحت رحمة طيران وصواريخ سكود الأسد.

العميد الركن أحمد رحّال

بُعيد التحرير، الوضع المدنيّ في إدلب

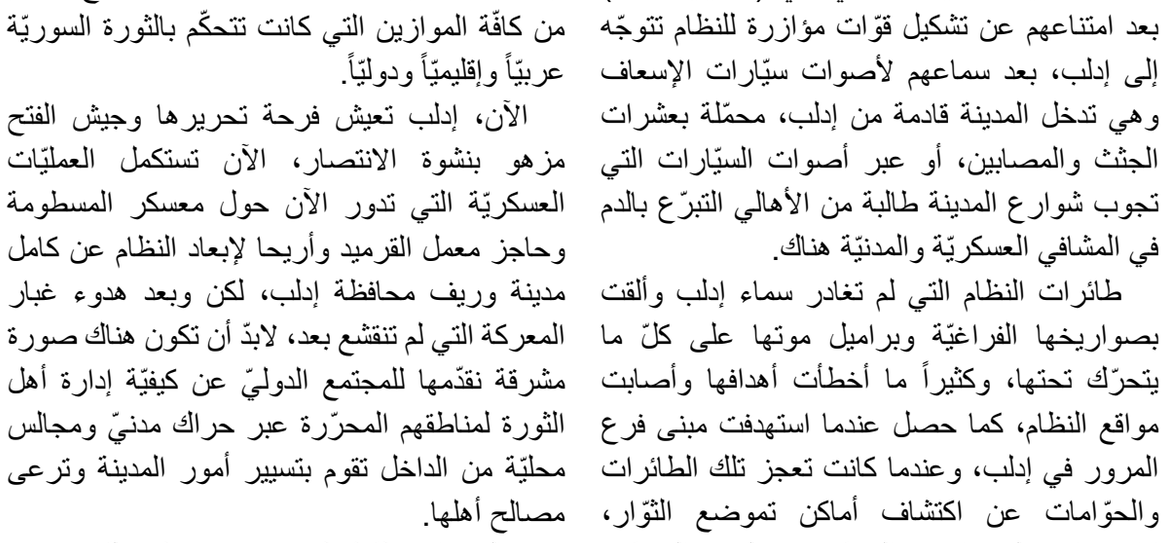

بعد معارك عنيفة استطاعت الفصائل المنضوية تحت مسمّى جيش الفتح أن تبسط سيطرتها على كامل مدينة إدلب، وكانت الخشية أن يتكرّر في إدلب بعد تحريرها سيناريو أغلب المناطق المحرّرة، وما حدث فيها بعد التحرير من تخريب ونهب للممتلكات العامّة والخاصّة وعدم مراعاة حقوق المدنيّين في أمنهم وأمانهم وتبديد مخاوفهم، بل وأحياناً إلحاق الأذى بهم. لكن ما حصل في إدلب مختلف جدّاً والوقائع كما هي، يلزم أن تقال.

تأمين المدنيّين والمؤسّسات والممتلكات

كانت الخطوة الأولى في خطّة المقاتلين هي إجلاء المدنيّين خوفاً من القصف وتمكينهم من الخروج، وذلك بتأمين وسائل نقل خاصّة تقلّهم إلى البلدات والقرى المجاورة، حيث شهدت المدينة نزوحاً شبه كامل لمعظم السكّان، ويقول المقاتل سهيل: من جيش الفتح المشارك في معركة إدلب لقد كان تأمين خروج المدنيّين من أصعب المهام التي واجهتنا في هذه المعركة، فقد كان همّنا تأمين وسائل النقل الخاصّة بهم وحمايتهم لقد وقع على كاهلنا تحمّل المسؤوليّة مضاعفة، بحمايتهم وتأمين خروجهم، وكان البعض منّا مكلّف بهذه المهمّة رسميّاً». تقول سارة وهي طالبة جامعيّة تسكن في إدلب «كنت خائفة جدّاً، لكنّ مخاوفي غادرتني مباشرة نتيجة مساعدة الثوّار لي ولجميع من كان معي من الأهالي وعمل المقاتلون بشكل دؤوب وأسلوب لطيف دون أيّ إزعاج لتسهيل خروجنا، وهذا ما بدّد جميع مخاوفي، لقد أمّنوا لي ولأختي الحماية الكافية لساعة ركوبنا في السيارة التي أقلّتنا إلى بلدتنا». ولدى سؤالنا لها، هل حصل من تخريب لمؤسّسات الدولة والممتلكات العامّة أو الخاصّة؟ أجابت سارة: إنّها لم تشاهد أيّ تخريب على أيّ مستوى كان، وأضافت أنّها سمعت أنّ هنالك قراراً بمنع التخريب لأيّ من المؤسّسات العامّة، وعدم المساس بالأملاك الخاصّة تحت طائلة العقوبة الشديدة، وأضافت سارة: بأنّ معظم سكّان المدينة كان شعورهم نفس شعورها عندما شاهدوا كيفيّة تعامل الثوّار معهم وتأمين كلّ ما يحتاجونه، وتضيف: لقد عملوا على التخفيف قدر الإمكان من مخاوف الأهالي، فكانوا ينادون بالمكبّرات لطمأنتنا، حينها بدأ الأهالي ممّن يريد النزوح بالخروج وطلب المساعدة، لقد كانت فرق الإنقاذ منتشرة في معظم أحياء وشوارع المدينة، وتحاول إسعاف المصابين ونقلهم إلى البلدات المجاورة.

صحّيّاً:

ويقول أحد المشاركين في معركة التحرير: لقد شاركت جميع فرق الدفاع المدنيّ في سراقب وبنّش وسرمين بإنقاذ المدنيّين وكان لهم الدور الأكبر في إنقاذ ونقل الكثير من المدنيّين المصابين لأقرب المشافي الميدانيّة أو إلى سراقب وسرمين، أمّا الحالات الخطرة فتمّ إسعافهم للمشافي التركيّة عبر معبر باب الهوى، فقد استهدف القصف الجويّ عدداً من المشافي ومعظم النقاط الطبيّة في المدينة وهذا بدوره أدّى إلى إغلاق المشافي المستهدفة وتوقّفها عن العمل كالمشفى الوطنيّ في المدينة ومشفى الهلال الأحمر ومبنى العيادات الشاملة، إنّ قوّات النظام تسعى لتدمير البنى التحتيّة الصحيّة الموجودة في المدينة، وهذا الوضع يجعل الثوّار يواجهون تحدّيات كبيرة كالقدرة على حماية المنشآت العامّة والحفاظ على الأجهزة الطبيّة والقدرة على إقامة نقاط طبيّة تقدّم خدمات إسعافيّة أوليّة ورعاية صحّيّة لعيادات الأطفال والتوليد والنسائيّة ومراكز غسل الكلى والأمراض المزمنة، كما يُرمى على عاتقهم توفير كافّة الأجهزة الطبيّة في النقاط والمشافي، بالإضافة إلى القلق الدائم والمستمرّ من شدّة القصف الذي يؤدّي إلى صعوبة وتعقيد تسيير الأمور الطبيّة والمدنيّة في إدلب.

الغذاء والمأوى والشعانين

أمّا بالنسبة للموادّ الغذائيّة فقد تمّ ذلك بشكل طوعيّ من جميع البلدات المجاورة، حيث قدّم كلّ من أهالي سرمين وسراقب وبنّش الموادّ الأوّليّة كتأمين الخبز وبعض المواد الأخرى، يقول أبو مجد: «تمّ العمل من الأهالي بشكل طوعيّ ونودي في المساجد لجمع التبرّعات من الأهالي الذين لبّوا النداء وجمعنا ما استطعنا من موادّ غذائيّة حيث تمّ التنسيق مع الثوّار لوصول مادّة الخبز إلى داخل المدينة وتوزيعها، كما تمّ بنفس الطريقة جمع التبرّعات من الأهالي للنازحين الجدد».

أمّا بالنسبة لتأمين المأوى للعائلات التي نزحت إلى المناطق المجاورة فقد تمّ تأمين السكن لهم وتأمين كلّ ما يحتاجونه من أغطية وفرش، وتعاون في ذلك جميع الأهالي، وهنا يمكن الإشارة إلى أنّ مدينة إدلب التي تضمّ ٤٠٠ ألف شخص شهدت نزوحاً في الاتجاهين، إذ عاد لاجئون من تركيّة وريف إدلب إلى بيوتهم لتفقّدها بعد غياب استمرّ لأكثر من ثلاث سنوات كما عاد كثيرون من إقليم هاتاي التركيّ ، ونزح آخرون من المدينة تخوّفاً من غارات متوقّعة على المدينة، أو تحسّباً من ممارسات قد يقوم بها بعض المسلّحين، لذلك ظهرت مناشدات لعدم التعرّض للمدنيّين في المدينة التي تضمّ عدداً من أبناء الديانة المسيحيّة ومراعاة طقوسهم وشعائرهم الدينيّة خاصّة عيد الشعنينة الذي يصادف هذه الأيّام.

التربية والإدارة المحلّية

أمّا بالنسبة لما يتعلّق بمديريّة التربية، وبعد أن تمّ تحرير المدينة بالكامل فقد ذكرت مصادر صحفيّة من داخل إدلب أنّه كان من أولويّات الخطط التي وُضعت قيد التنفيذ بعد تحرير المدينة وبالفعل قام الثوّار بتسليم مديريّة التربية لمدير التربية الحرّة التابع للحكومة المؤقّتة في إدلب «جمال شحّود» كما قامت حركة أحرار الشام بتسليم مكتب المديريّة التابعة لحكومة النظام سابقاً وسلّمتهم الأجهزة والمستندات والوثائق الرسميّة فيها دون أن يحدث أيّ تخريب لها، كما قاموا بتمديد فترة التسجيل للتقدّم إلى امتحانات الشهادة الثانويّة الصادرة عن الحكومة المؤقّتة لمدّة عشرة أيّام، وأنّهم يسعون للحصول على اعتراف دوليّ بالشهادة، إضافة إلى أنّ الموظّفين الذين كانوا يعملون في المديريّات والمدارس التابعة لحكومة النظام هم جزء من العمليّة التعليميّة والتربويّة ولا يمكن الاستغناء عنهم، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّه كان من الواضح أنّ ما حصل في معركة تحرير إدلب لا بدّ أن يكون هناك رؤية واضحة نموذجيّة يقدّمها الثوّار للمجتمع الدوليّ عن كيفيّة إدارتهم وتسييرهم للمناطق المحرّرة وهذا يتمثّل بالحراك المدنيّ عن طريق إقامة مجالس محليّة تعمل على تسيير أمور المدينة من الداخل، وهذا يمنع بدوره قيام أيّة إمارة أو خلافة ويؤكّد أنّ المدينة سيقودها حراك مدنيّ من الأهالي فقط.

وأخيراً، فإنّ كلّ المؤشّرات تدلّ على أنّ هنالك نوايا وتوجّهات لدى جهات على الأرض، أن تكون إدلب نموذجاً إيجابيّاً للمناطق المحرّرة.

ف. الخالد

تحرير إدلب: هل من جديد؟

القدس العربي

بكر صدقي ـ عن صحيفة القدس العربيّ

قد يمكن القول عن معركة إدلب التي حسمها «جيش الفتح» في بضعة أيّام، وانتهت بطرد قوّات النظام الكيماويّ وميليشياته منها، إنّها توجّت مساراً متصاعداً من انتصارات المجموعات المعارضة على النظام، بالنظر إلى سيطرة مجموعات معارضة أخرى على بصرى الشام في الجبهة الجنوبيّة، والخسائر الكبيرة التي يتكبّدها حزب الله اللبنانيّ وميليشيات شيعيّة أخرى متعدّدة الجنسيّات في جبهات القلمون وحوران وجبهات أخرى.

تشير هذه المعارك، عموماً، إلى تراجعات كبيرة لقوّات النظام وحلفائه على الأرض، وإلى هزال مقاومته حين يتعرّض لهجمات منسّقة. وقد أثبتت معركة تحرير إدلب أنّ هزيمة النظام ليست بالأمر الصعب حين تتوفّر غرفة عمليّات منسجمة كحال «جيش الفتح» وبعض السلاح الثقيل والمتوسّط.

لكنّ المدينة الصغيرة التي ظلّت، طوال السنوات الأربع الماضية، تحت سيطرة النظام بخلاف ريفها الذي كان من أولى المناطق التي خرجت عن سيطرته، لم تهنأ بالتحرير أكثر من يومين، فكما هو متوقّع بدأت غارات النظام الجوّيّة التي استهدفت قبل كلّ شيء مبنى المشفى الوطنيّ، واستخدمت البراميل القاتلة المزوّدة بغاز الكلور لإيقاع أكبر عدد من المدنيّين انتقاماً لخسارته المدينة. ذلك أنّ المبدأ الرائز لحرب النظام لم يتغيّر منذ بداية الثورة: إذا خرجت منطقة عن سيطرته، فهي لا تستحقّ البقاء! بل تدميرها على رؤوس مَن فيها، كما ينقل على لسان رفيق الحريري في لقائه الأخير مع جزّار دمشق الذي هدّده حرفيّاً بـ «تكسير لبنان فوق رأسه». وإذا كان قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ القاضي بخروج جيش النظام الكيماويّ من لبنان قد حمى هذا البلد من «التكسير» (لكنّ الحريري نفسه، وساسة ومثقّفين لبنانيّين آخرين، دفعوا الثمن اغتيالاً) فالفيتو المزدوج «الروسيّ –الصينيّ» من جهة، ولامبالاة المجتمع الدوليّ من جهة أخرى، سمحا بتحطيم سورية تماماً.

بهذا المعنى يصبح «تحرير» إدلب خسارة محضة لأهاليها ولسورية عموماً، ما دام غير مندرج في إطار استراتيجيّة وطنيّة عامّة للإطاحة بالنظام، في إطار زمنيّ معقول. فكلّ منطقة يخسرها النظام معرّضة للتحوّل إلى ركام فوق رؤوس من يتبقّى من سكّانها بعد نزوح معظمهم إلى مناطق أخرى، داخل سورية أو خارجها، بحثاً عن الأمان.

الواقع أنّ عمليّات النزوح الجماعيّة هذه تشير إلى مدى الانقلاب الذي يجري في أولويّات السكّان. فمقابل إرادة الحرّيّة التي أخرجتهم إلى الشوارع وواجهوا رصاص قوّات النظام وشبّيحته بأيديهم العزلاء، نرى اليوم مجموعات خائفة هائمة على وجوهها من مكان إلى آخر طلباً للأمان الوجوديّ فقط. هذه هي الأرضيّة الخسيسة التي تنطلق منها دعوات ما يسمّى بالتيّار الثالث أو مبادرات «المجتمع المدنيّ» المموّلة دوليّاً أو، أخيراً، مبادرات سياسيّة عقيمة كمبادرة «دي ميستورا» التي وأدها النظام قبل أن ترى النور في أحد أحياء حلب المحطّمة.

هذا ما يدفعنا إلى رسم ملامح من المشهد الإقليميّ الدوليّ الذي في إطاره جاءت معركة تحرير إدلب. ففي الوقت الذي يقترب فيه الموعد النهائيّ للمفاوضات النوويّة بين إيران ومجموعة ٥+١ في لوزان، من غير مؤشّرات مؤكّدة إلى نتيجتها، سلباً أو إيجاباً، تتضارب الأنباء حول حسم معركة تكريت بعدما دخلت طائرات التحالف الدوليّ على خطّ المعركة مقابل انسحاب قوّات الحشد الشعبيّ الشيعيّة المتّهمة بارتكاب أعمال انتقاميّة ضدّ سكّان المدينة من السنّة، فيما تمكّنت السعوديّة وحلفاؤها في عمليّة «عاصفة الحزم» من الحصول على دعم القمّة العربيّة والجامعة العربيّة من غير اعتراضات ظاهرة، فضلاً عن دعم الدول الغربيّة الرئيسيّة بما في ذلك الولايات المتّحدة.

للمقارنة، كانت الشروط الإقليميّة والدوليّة مختلفة تماماً حين بدأت عمليّة تحرير حلب، صيف العام ٢٠١٢، وكان النظام في إحدى أضعف لحظاته بعد تفجير خليّة الأزمة وعدد من الانشقاقات المهمّة في منظومته العسكريّة والدبلوماسيّة، ولم يكن تنظيم «داعش» موجوداً. مع ذلك تحوّل تحرير نصف المدينة إلى كارثة عليها، سكّاناً وعمراناً، فضلاً عن انتهاكات الجيش الحرّ بحقّ السكّان. أمّا الآن، فنحن في زمن يتحدّث فيه وزير الخارجيّة الأمريكيّة جون كيري عن ضرورة التفاوض مع الأسد، ويقوم برلمانيّون فرنسيّون وبلجيكيّون بزيارات إلى سفّاح دمشق، وفي ظلّ حرب تقودها واشنطن ضدّ «داعش»، من غير أيّ احتكاك مع طائرات النظام التي تلقي ببراميل الموت على المدنيّين. وفي الوقت الذي أصبحت فيه معركة اليمن ضدّ الحوثيّين على رأس جدول أعمال دول الخليج، ليتراجع الاهتمام بالمأساة السوريّة إلى الخلف عربيّاً ودوليّاً.

كلّ هذا ولم نتحدّث عن طبيعة المجموعات المسلّحة التي اجتمعت في غرفة عمليّات «جيش الفتح». فالعمود الفقريّ لهذا الجيش إنّما يتشكّل من جبهة النصرة التابعة لمنظّمة القاعدة، وأحرار الشام التي أدمجت في بنيتها مؤخّراً صقور الشام، وهما منظّمتان سلفيّتان جهاديّتان من بيئة القاعدة نفسها، إيديولوجيّاً على الأقلّ. وعلى رغم تصريحات الناطق باسم أحرار الشام «الدبلوماسيّة» حول تشجيع إدارة مدنيّة للمدينة «تقدّم نموذجاً إيجابيّاً» فالواقع على الأرض يشير إلى تنازع الفصائل على الحصص في الإدارة المفترض أنّها مدنيّة. وعلى رغم تطمينات الناطق باسم جبهة النصرة بشأن مصير العائلات المسيحيّة في المدينة، تتحدّث أنباء عن إعدام رجل مسيحيّ وابنه بدعوى بيعهما للخمور، فضلاً عن أنّ التطمينات المذكورة لا تشمل أولئك الذين تعاونوا مع «العدو النصيريّ» حسب تعبير عبد الله المحيسني من شرعيّي جبهة النصرة.

ولا تقتصر المشكلة مع المنظّمات الجهاديّة على موضوع انتهاكاتها الفظيعة بحقّ السكّان، أو قتالها ضدّ فصائل غير إسلاميّة أقرب إلى تعريف الجيش الحرّ، بل تتجاوز ذلك إلى كونها لا تعترف بسورية الوطن والانتماء، مستبدلةً إيّاهما بمشروع الدولة الإسلاميّة، وموقفها الاستئصاليّ من الأقليّات المذهبيّة غير السنيّة. كلّ ذلك يجعل من «ثورتها» غير ثورة سائر السوريّين، ومن دولتها غير الدولة التي من أجلها خرج السوريّون في مبدأ ثورتهم.

بالمقابل، لا يخفي كثير من السوريّين فرحتهم بأيّة هزيمة يتلقّاها النظام وحلفاؤه، بصرف النظر عن الجهة التي ألحقتها به، خاصّة وقد بلغ التدخّل الإيرانيّ المباشر وغير المباشر، عبر الميليشيات الشيعيّة متعدّدة الجنسيّات، مبلغاً تحوّلت فيه الثورة ضدّ النظام القاتل إلى حرب تحرير وطنيّ في نظر كثيرين.

ميلودراما الحرب

المدن

فوّاز حداد ـ عن موقع المدن الإلكترونيّ

إذا أردنا التعليق على الأحداث اليوميّة في أرجاء الأرض السوريّة، بعدما تراجع الاهتمام بها إثر «عاصفة الحزم»، فلا يمكن تجاهل التقدّم الذي أحرزته كتائب المعارضة المسلّحة في بصرى الشام وإدلب، وأيضاً ما تحدثه آلة حرب النظام والميليشيات المذهبيّة من فجائع على مدار الساعة، إذ لم تتوقّف طوال السنوات الأربع الماضية عن العنف والتدمير، فالقتل بأصنافه المتعدّدة مورس على السوريّين: العشوائيّ والمبرمج، شمل قنص المدنيّين ولم يستثن الأطفال والنساء والكبار في السنّ، العقوبات جماعيّة، إضافة إلى حصارات «الركوع أو التجويع»، والتعذيب حتّى الموت. هناك من الأهالي من دفنوا أبناءهم سرّاً خوفاً من الملاحقات، وصل الإجرام بأجهزة الأمن والشبّيحة إلى نبش المقابر، وسرقة الجثث من المستشفيات، ليجري تشويهها ورميها على الحدود الفاصلة بين الأحياء المتجاورة والمختلفة طائفيّاً، إسهاماً في التخويف والدفع إلى مناوشات ثأريّة. هذه حصيلة إعلان النظام الحرب على الشعب.

ليس هناك جريمة لم ترتكب في سورية، ارتكبت عن عمد وتصميم، لمجرّد القيام بأعمال كان أغلبها في جوهره إنسانيّاً، وتعاضداً اجتماعيّاً؛ توصيل إعانات إغاثيّة للجرحى، إيواء منشقّين، تقديم الطعام والدواء... مخالفات يعاقب عليها في أقبية أجهزة الأمن ومراكز الاعتقال، يقوم عليها بحقد وكفاءة زبانية الهمجية الجدد، أولاد وأحفاد زبانية مرتكبي مجازر حماة وتدمر وجسر الشغور في الثمانينات، يستنسخون جرائمهم منها على نحو مماثل. فالوحشيّة أيضاً، توّرث مثل السلطة المغتصبة.

هذه المعلومات متوافرة ومتاحة للجميع، لكن هناك من ينكرها، ولا يرغبون في الاطّلاع عليها، لئلا يعرفوا، المعرفة اتهام، يفضّلون ألّا يعلموا، ليقنعوا أنفسهم أنْ لا شيء يحدث. هذا ما اجترحه مسؤولو النظام من كبيرهم إلى صغيرهم: الإنكار، بينما الإجرام يوميّ.

يزعم رجال النظام ومؤيّدوهم، أنّهم منذ بداية الثورة يواجهون هجمة إرهابيّة تكفيريّة، لئلّا يؤرقوا ضمائرهم بالبراميل المتفجّرة وراجمات الصواريخ والدبّابات والطائرات والكيماويّ، حسب ادّعائهم، تقتل التكفيريّن وتدمّر البيئات الحاضنة.

هناك أيضاً المثقّفون الذين يقفون على الحياد، لدواع إنسانيّة، فهم ليسوا مع النظام، لكنّهم تخصّصوا في انتقاد أداء فصائل المعارضة المسلّحة والسياسيّة، وهو أمر محمود وضروريّ، حسب ادّعائهم أيضاً لا يعلمون بما يقع في سورية، فلم يعرفوا بالمجازر، ولا بالكيماويّ ولا ب ١١٠٠٠ سوريّ قُتلوا تحت التعذيب. وإن كانوا غير راضين عما يجري من تجاوزات. يعلّلون الجرائم بأنّها متبادلة... ثمّ أنّها الحرب. ما يبيح لهم عدم الالتفات إلى الضحايا المدنيّين الأبرياء، فهم مجهولون، كانوا في المجهول وذهبوا إلى المجهول، لم يمرّوا في هذا العالم، إلّا ليسجّلوا كضحايا مغمورين، لا أحلام لهم، ولم يرغبوا في الحياة، طريقهم إلى الموت محدّد منذ خُلقوا. أمّا أساليب موتهم فتدلّ على أنّهم يستحقّون هكذا مصير، لا بدّ اقترفوا جريمة ما، فيصبح مبرّراً الإجهاز على شبّان موثقة أيديهم بالضرب بالبوط العسكريّ المقدّس.

يبدو الموت العاديّ تافهاً، ليس هذا وقته، ليس موتاً غير هذا الموت بالجملة، يستمدّ تميّزه من الرصاص والقصف، وتفتّت الأجساد في فضاءات الغبار، وانسحاقها تحت الركام، جثث لا ملامح لها، مشوّهة ومحترقة، مغمّسة بالوحل والدم. قتل تتجلّى خفّته وجبروته في سقوط برميل متفجّر، لينكشف الدخان عن بشر مذعورين يتراكضون، وعشرات الجثث مبعثرة فوق الأرض، أو دفنت تحت الأرض... مناظر يوميّة يجري تعميمها، على أنّها عاقبة كلّ من يفكّر أو يثور طلباً للحرّيّة، حتّى لو كان بالمصادفة في المكان غير المناسب، بعد أن بات ليس هناك من مكان مناسب، وكلّ زمان هو الزمان الخطأ.

يؤوّل المثقّفون الإنسانيّون هذه المشاهد على أنّها قضيّة ميلودراميّة تستثمر في الحرب لاستدرار العواطف والدموع. بينما الأزمة السوريّة تستعصي يوماً بعد يوم على الحلول السياسيّة والضغوط الاقتصاديّة والتهديدات الدوليّة، كلّها جوفاء، طالما أنّ الحرب ما زالت مفتوحة على جميع أنواع الموت.

حاليّاً والجهود تبذل في محاولة لتوحيد كلمة العرب، لا تنسوا سورية.

مجزرة «المبعوجة» تحت أعين النظام السوريّ

العربي الجديد
صحيفة الزمن العربيّ الجديد.

عبسي سميسم – عن «العربيّ الجديد»

ارتفعت حصيلة قتلى الهجوم الذي شنّه مقاتلون تابعون لتنظيم «داعش» على قرية المبعوجة في ريف حماة الشرقيّ، يوم الإثنين، إلى نحو ٧٠ قتيلاً، معظمهم من المدنيّين، ولا يزال نحو ٣٠ مدنيّاً مختطفين لدى عناصر التنظيم، في وقت تدخّلت فيه بعض عناصر الدفاع الوطنيّ «الشبّيحة»، من مدينة صبّورة بعد الحادثة، لسرقة بيوت القرية.

وأكّد أحد الناجين من المجزرة، فضّل عدم ذكر اسمه، لـ»العربي الجديد»، أنّ «مسلّحي (داعش) حشدوا عدداً من الدبّابات قبل الهجوم بساعتين، انطلاقاً من قريتي صلبة وقليب الثور، وكانت الدبّابات مرئيّة لقوّات النظام الموجودة في صبّورة، التي تبعد نحو أربعة كيلومترات عن المبعوجة، ولكنّهم لم يحرّكوا ساكناً».

وأضاف «بحكم امتلاكي سيّارة، تمكّنت من الهرب مع عائلتي أثناء الهجوم، الذي وقع حوالي الساعة ١٢ ليلاً، إلى قرية عقارب الصافية». وتابع «هاجم عناصر التنظيم بيوت القرية، وقتلوا وذبحوا وحرقوا عائلات بأكملها». وكشف أنّ «معظم العائلات التي أُبيدت، معروفة بمعارضتها للنظام كآل معمار، الذين أُسر نحو ١١ فرداً منهم، وقُتل إمام جامع القرية وأمّه، قبل أن ينسحبوا باتجاه القرى التي أتوا منها».

وتابع «هرب جميع عناصر الدفاع الوطنيّ الموجودين في القرية بمجرّد بدء الهجوم، كما أنّ وحدات الجيش المتمركزة في صبّورة وقرية برّي لم تتحرّك، وهرب عناصر الشبّيحة من الحواجز التي تفصل بيننا وبين القرى التي حصل الهجوم منها قبل بدء الهجوم، ما سهّل وقوع المجزرة».

وتعيش معظم قرى ريف حماة الشرقيّ، المحاذية لمواقع «داعش» حالة رعب حقيقيّ، في ظلّ قدرة التنظيم على اقتحامها في أيّ وقت يشاء من جهة، وفي عدم قدرة سكّانها على الهرب إلى معظم مناطق المعارضة من جهة ثانية. كما يتعامل معها النظام كمناطق درجة ثانية، بسبب تنظيمها تظاهرات ضدّه منذ بداية الثورة في عام ٢٠١١، ويلاحق شبابها من أجل التجنيد الإجباريّ.

ويبدو أنّ النظام يتعامل مع المناطق ذات الأغلبيّة الإسماعيليّة، والتي تحوي خليطاً طائفيّاً متنوّعاً، لاستخدامها كورقة ضغط على المجتمع الدوليّ، إذ يستطيع استدراج «داعش» لدخول تلك المناطق، من أجل المتاجرة بسكّانها كـ «أقليّات» وقعت «ضحيّة إرهاب التنظيم»، وذلك بهدف تثبيت نفسه كشريك أساسيّ ضمن التحالف الدوليّ لمحاربة الإرهاب. كما يبدو أنّ النظام يتّبع سياسة «السكوت» على عمليّات الاختراق التي يقوم بها «داعش» لبعض القرى التي تقع تحت سيطرته، لإفهام سكّانها بأنّ أيّ بديل للنظام القائم، سيكون على شاكلة التنظيم، الأمر الذي يدفع الأهالي إمّا إلى الهجرة خارج البلد، أو إلى التطوّع في صفوف الدفاع الوطنيّ، فيستخدمهم كرأس حربة في عمليّاته العسكريّة، سواء ضدّ فصائل المعارضة أو ضدّ «داعش».

وأكّد ناشط إعلاميّ من قرية عقارب الصافية لـ «العربي الجديد»، أنّ «عدداً من قرى ريف حماة الشرقيّ، التي تخضع لسيطرة النظام كالمبعوجة وعقارب الصافية، هي قرى ينظر إليها النظام على أنّها قرى معارضة، وتقع على حدود مناطق سيطرة «داعش» من دون حماية، وكأنّها متروكة لقدرها مع التنظيم».

وكشف أنّ «معظم فصائل المعارضة، تحديداً الإسلاميّة منها، تحسب مدينة سلميّة وريفها على النظام، لأسباب متعلّقة بانجرار معظمها خلف الحالة الطائفيّة التي عمل عليها النظام، علماً بأنّ مناطقنا هي أولى المناطق التي ثارت ضدّ النظام».

وسبق أن هاجم التنظيم حاجزاً للنظام في منطقة الشيخ هلال، بريف سلميّة الشرقيّ، فقتل حوالي ٦٠ فرداً منهم، ينتمي معظمهم إلى مدينة سلميّة وريفها، الأمر الذي أثار موجة من التساؤلات لدى سكّان المنطقة عن سبب استهداف هذا الحاجز بالذات، وكيف تمّ تجاوز مختلف الحواجز قبل الوصول إليه من دون مقاومة، ولماذا تمّ استهداف سكّان سلميّة بالذات، واتّهم البعض النظام بـ»وقوفه وراء الحادث».

كما قتل مسلّحون في منطقة كللي، شمال إدلب، أربعة ناشطين من سلميّة، أثناء محاولتهم العبور إلى تركيّا هرباً من النظام. وعثر عناصر الدفاع المدنيّ على جثثهم التي يظهر عليها آثار تعذيب قبل تصفيتهم، ولم يتبنَّ أيّ فصيل مسؤوليّة قتلهم، في حين وُجّهت الاتّهامات نحو «جبهة النصرة» التي تسيطر في تلك المنطقة.

أربع سنوات على الصرخات الأولى

أربع سنوات كاملة تفصل ما بين الصرخات الأولى «الشعب السوري ما بينذل» و «سوريا بدها حرّيّة» و «واحد واحد واحد، الشعب السوري واحد»، وما بين الواقع الصعب الذي تعيشه سورية، من اقتتال، وانتشار الفكر السلفيّ الأصوليّ، وارتفاع وتيرة الطائفيّة، وسيطرة العمل المسلّح، وضياع المعارضة السياسيّة في أروقة الدول الكبرى، والتخبّط في أجنداتها..

بعد أربع سنوات، ما هي المآلات التي وصلت إليها الحالة السوريّة؟ هل ما زالت هناك ثورة؟ وهل دخلت سورية ورقة اقتتال الآخرين على أرضها؟ وهل من الممكن استرجاع ألق الثورة الشعبيّة في بداياتها؟ هل سورية ذاهبة إلى التقسيم؟

أسئلة كثيرة تطرحها علينا ذكرى انطلاق الثورة... وقد قامت صحيفة «كلّنا سوريّون» بطرح بعض من هذه الأسئلة أملاً في تقديم تصوّرات وانطباعات وآراء تساعدنا في تلمّس المستقبل وصياغة خطاب وطنيّ جديد.

وها نحن ننشر على مساحة الصفحات الثلاث التالية ما جاءنا من ردود وآراء.

المصطلح والحلّ في الثورة السوريّة

باسل الجنيدي (المدير العامّ لمركز الشرق للسياسات ـ غازي عنتاب)

تكمن المشكلة الأساسيّة في أن مصطلح «ثورة» مصطلح فضفاض، يُستخدم في وصف طيفٍ واسع من التغيرات التاريخيّة، أغلبها «حروب أهليّة» و «انقلابات عسكريّة» بالتزامن أو بدون تزامنٍ مع تغييرات جوهريّة في توزيع الثروة وعلاقات الإنتاج، ووفق هذا المنطلق فإنّ الثورة الإسلاميّة في إيران ثورة، وثورة الثامن من آذار ثورة، والثورة الفرنسيّة ثورة، والثورة الصناعيّة ثورة، بغضّ النظر عن القيم «الإيجابية» أو «السلبيّة»، «التقدّميّة» أو «الرجعيّة» التي حملتها تلك التغيّرات التاريخيّة لمجتمعاتها. الفكرة هنا أنّ مصطلح «الثورة» بحدّ ذاته يحمل قيمة إيجابيّة، ولأنّ المنتصر هو من يكتب التاريخ فهو يحرص دوماً على وصف انتصاراته بهذا المصطلح.

أعتقد أنّ استعجالنا في منح وسام «الثورة» في وصف الحراك والانتفاضة المجتمعيّة التي حدثت وتحدث في سورية - وأنا شخصيّاً من المتحمّسين لهذا المصطلح «الثورة السوريّة» - يعود لرغبةٍ فينا للتأكيد على جوانب أساسيّة: الانتفاضة السوريّة هي عمل بطولي يقوم بها أصحاب حقّ، يكاد فيها المنتفضون يواجهون كلّ العالم، تهدف لإحداث تغييرات جوهريّة على مستوى - النظام، الدولة، المجتمع - لا مجرّد تغييرات مطلبيّة بسيطة، كما أنّها انتفاضة ذات أبعاد «وطنيّة» تلتزم بالدولة - الأمّة السوريّة.

لذا، فإنّ مصطلح «الثورة السوريّة» هو بالأصل مصطلح «رغبويّ» لم ينتظر التاريخ، والمنتصرين في هذا التاريخ، حتّى يمنحوه هم ذاتهم هذا الوسام، وبهذه «الرغبويّة» بالذات كسر الثوّار حاجز الخوف وانتفضوا أمام الرصاص وكسّروا أصنام الرئيس ثمّ حملوا السلاح في مواجهة جيشه، ودفعوا أثمانها مئات الألوف من الأرواح والمعتقلين وملايين المهجّرين، بمعنى آخر هناك طاقة مجتمعيّة تدفّقت لصنع التاريخ، أُوصِفها بالثورة، وسيوصِفها غيري بـ «الحرب الأهليّة» أو «الطائفيّة» أو «الأزمة السوريّة» أو مهما يكن، بالنهاية توصيفي لها بهذا المعنى هو تعبير عن طاقة أصبح عمرها ٤ سنوات، إذا ما هُزمت مستقبلاً وخارت فسأكون، بكلّ بساطة، مهزوماً، وستتكرّس مصطلحات الآخرين.

- بعيداً عن «الرغبويّة»، فإنّ تأمّل الوضع السوريّ اليوم يشير لنا بوضوح أنّ القوى الذاتيّة للمجتمع السوريّ لم تتمكّن من إحداث التغيير المطلوب، وتصدّرت الأزمة للإقليم لدرجة أنّها كسرت «جغرافيا» المنطقة، كسر هذه الحدود لم يقم به «داعش» وحده، بل سبقة دورة اقتصاديّة تعتمد بحكم الأمر الواقع على الدول المجاورة، الشمال مع تركيا والساحل ودمشق مع لبنان والجنوب مع الأردن والشرق مع العراق، وأصبحت الحرب حرباً إقليميّة بالوكالة تدور أغلب أحداثها في سورية، بل تصاعدت لاحتمالات انتهاء «حروب الوكالة» على الأراضي السوريّة ونشوب حروبٍ مباشرة بين دول الإقليم في المستقبل القريب.

في سياق آخر، وبعد فشل القوى الذاتيّة السوريّة في هزيمة النظام، فإنّنا اليوم محكومون بالخارج، وبالتغيّرات السياسيّة على مستوى الإقليم والعالم، وبهذا المعنى فإنّه لم يعد من المفيد انتظار «العدالة الإلهيّة» أو «الشرعيّة الدوليّة»، ولم تعد أحقيّة مطالبنا والأثمان التي دفعناها من أجلها هي الحكم، بل، إنّ كلّ ذلك هو جزء من صيرورة تاريخيّة ستحدث - لحسن الحظ - تغيّيراً حتميّاً، بعد أن أدرك العالم أنّه لا يستطيع ترك الأمور تتعفّن داخل الجغرافيّة السوريّة، وأنّ هذا «العفن» لا بدّ أن يتصدّر وسينتج له إرهاباً انتقاميّاً لم يشهد له مثيلاً، وسيكسر حدود الدول، وسيخلق توتّرات على مستوى الأمن القوميّ لدول الإقليم، وحروباً يشبه فتيلها فتيل الحروب العالميّة.

السياسة، بجشعها وانحطاطها وتسبّبها بكلّ ما نحن فيه اليوم، للأسف، هي الحلّ، النوايا الطيّبة لم تكفِ، وهي صدمة وجوديّة لنا كشعبٍ لا أبالغ إن قلت إنّها سبّبت أمراضاً نفسيّة مزمنة فينا قد لا نشفى منها، أعتقد هنا أنّنا اليوم بحاجة لكياناتٍ سياسيّة وطنيّة وشبابيّة تمثّل الثورة، وتلعب بخبثٍ، قد تكون هي المنفذ الوحيد ليكون للوطن السوريّ مكان في التسويات القادمة، إن نجحنا بتحقيق تلك التسوية العادلة فسيكون كلّ «التطرف» و«الإرهاب» الذي في سورية اليوم مجرّد غبار، لأنّنا سنشفى نفسيّاً بعض الشيء!.

العام الخامس للثورة السوريّة

غسّان مفلح

أتّهم نفسي قبل الآخرين، من أنّنا لم نكن على مستوى ثورة شعبنا كمعارضة وكنخب. انطلاق الثورة من حوران في ١٨ آذار ٢٠١١، كان نقطة تحوّل في تاريخ سورية المعاصرة ومنطقة الشرق الأوسط عموماً، لم يشهد التاريخ الحديث والمعاصر خروج شعب على حاكم بهذه الحشود من المواطنين، لم نشهد ثورة تخرج خلال شهرين أكثر من ٦٠٪ من مدن وقرى بلد ضدّ نظام مجرم ومتسلّط، مثلما شهدت مدن وقرى سورية، باستثناء قرى الساحل، وبعض القرى المسيحيّة، لاعتبارات يعرفها الجميع. استثناء هذه القرى لم تبقَ مدينة أو قرية في سورية إلّا وخرجت فيها تظاهرات ضدّ آل الأسد، بغضّ النظر عن الأعداد في كلّ مدينة وقرية، لكن لم تبقَ مدينة في سورية إلّا وخرجت فيها تظاهرات بعد درعا، حلب إدلب ودمشق، اللاذقيّة وطرطوس، جبلة وبانياس، حمص وحماة، دير الزور، الرقّة، القامشلي، الحسكة، البوكمال والميادين. تظاهرات في السويداء وشهبا رغم قوّة التشبيح هناك، أكبر دليل على ما نقول، هو عدد اللاجئين والنازحين السوريّين الذي يفوق ثلث سكّان سورية، إضافة لمئات المدن الصغيرة ومثلها، وأكثر قرى أيضاً ريفي حلب ودمشق لوحدها يشكّلان ثقلاً سكّانيّاً كبيراً، ما أردت قوله بالمختصر من هذه الجولة السريعة، أنّه لا نجد في تاريخ الشعوب ثورة امتدّت سلميّاً بهذا الشكل وهذه السرعة، وهذه الحشود مثلما شهدت سورية. إنّها ثورة لم يشهد التاريخ الحديث والمعاصر مثل وقائعها. هذا جانب والجانب الآخر والذي يعدّ سبباً مباشراً في مأساة شعبنا مع هذا النظام المجرم، هي باختصار ودون الدخول في تفاصيل الموقف الدوليّ عموماً، هو الموقف الأمريكيّ عموماً والأوبـامـيّ الحقير خصوصاً. لقد كتب لي صديق أمريكيّ صحفيّ مقرّب من أجواء الإدارة الأمريكيّة، أنّ أوباما منذ أكثر من عام، طلب من مستشاريه عدم إدخال أيّ تقرير يخصّ الوضع في سورية، وخاصّة ما يقوم به نظام الأسد من قتل في الشعب السوريّ، لهذا قلت الموقف الأوباميّ الحقير، أوباما اتّخذ قراره إسرائيليّاً لكنّه زاود فيه على الإسرائيليّين بتغطية الأسد وجرائمه، أوباما يتحمّل تماماً مأساة شعبنا كما يتحمّله آل الأسد بنفس الدرجة والطريقة والشكل والمحتوى، صحيح أنّ روسيا شريكة في القتل لكنّها حليف تافه من حيث الوزن في الشرق الأوسط، وإيران أيضاً شريكة كقاتل مأجور، لا أكثر ولا أقلّ، لكنّ أوباما هو الشريك الفعليّ للأسد في مأساة شعبنا. هذه أكتبها للتاريخ الذي سيكشف ربّما تفاصيل أكثر بشاعة عن موقف أوباما ووزير خارجيّته جون كيري. تفاصيل عن حجم التواطؤ والمشاركة في القتل عندما اتّخذ أوباما قراراً بتحويل سورية إلى بؤرة من العنف المزمن، وساعد في تخريب الوضع في ليبيا، وجلب الإخوان للحكم في مصر ثمّ انقلب عليهم لكي يجعل قمّة الفساد تقوم بانقلاب في مصر بقيادة السيسي، الذي يعتبر رمزاً تافهاً لانتصار العسكر والفساد في العالم العربيّ، ليس هذا موضوعنا الآن لكنّ الشيء بالشيء يُذكر. مأساة شعبنا يتحمّلها آل الأسد أوّلاً وأوباما ثانياً، استمرار سورية بؤرة صوملة ألغى ثورتها، لكن بالمقابل علينا ألّا نرى اللوحة من وجه واحد بعض قوى الثورة ساهمت في الصوملة أيضاً. سورية ليست معرّضة للتقسيم لكنّها مطروحة للتلغيم الاجتماعيّ السياسيّ في بنية الدولة تماماً كالعراق ولبنان، وهذا المخيف في الأمر الأوباميّ..مع كلّ هذا التكالب على شعبنا، شعبنا لايزال حيّاً ويريد حريّته وكرامته.

«ثورة شعب أراد الحياة»

بكري كعكة

هي ثورة السوريّن بجميع أطيافهم وأعراقهم دون جدال أو نقاش وأكبر إثبات على ذلك .. بطش العصابة الأسديّة وإجرامها الذي لم يفرّق بين سُنّيّ أو علويّ، بين مسيحيّ أو مسلم، بين شيعيّ أو درزيّ .. عرباً كانوا أم كرداً أم تركماناً وغيرهم، الكلّ ذاق عبر أربعين عاماً المرار والظلم من تلك العصابة الطاغية.

بعد أربع سنوات على انطلاقتها ما زالت الثورة مستمرّة ومازالت في قلوب السوريّين الحقيقيّين على مبادئها وميثاقها الحقيقيّ، وما يحصل الآن من اقتتال ونزاعات وصرخات طائفيّة هي ليست إلّا مكائد أرادها لنا الأسد وأسياده ليحوّلوها من ثورة شعب وحقوق إلى عصابات إرهابيّة تعبث في أمن البلد وتزرع البغض بين الطوائف وبين شرائح السوريّين، كما يسوّق لذلك منذ أوّل خطاب له .. عندها كان يتحدّث عن عشرات ومئات الآلاف من الإرهابيّين !! كنّا نهزئ منه، ولم نكن نعلم حينها ما يضمر لنا من مكر ومكائد .. كان حينها يحدّثنا عمّا سيقوم بفعله لإخماد ثورتنا العظيمة ...الأسد ما هو إلّا صبيّ لإيران التي لديها مشروع عقائديّ وسياسيّ واقتصاديّ في الشرق الأوسط وللأسف أصبحت سورية بعد انطلاق ثورتها (التي عجّلت بتسارع بعض الأحداث) إحدى أوراق الضغط والربح أو الخسارة لإعادة توزيع القوى والحصص بين إيران وأمريكا في الشرق الأوسط.

لكن، فلنعلم نحن والعالم بأسره، أنّ سبب صمود الثورة و ثبات السوريّين في وجه الحرب التي أعلنتها عليهم إيران وخادمها الأسد وحلفاؤهم وميليشياتهم كلّ هذه المدّة هي صمود أسود المقاومة الوطنيّة السوريّة (جيش حر، سياسيّين، ناشطين، إعلاميّين، أطبّاء، عاملين في منظّمات، وكلّ الفاعلين) نعم هؤلاء هم أبطال المقاومة الوطنيّة السوريّة، لا بل، والعربيّة أيضاً الذين يقاتلون ويقدّمون ويستنزفون في سبيل تحرير وطنهم من تلك العصابة وردع الاحتلال الإيرانيّ وإفشال مشروعهم في المنطقة الذي سيطال رؤوس العرب من كبيرهم حتّى صغيرهم ..

معركة التحرير والحرّيّة ستطول، ولكن النصر للحقّ ولأصحاب الأرض وكلّ ما يحصل الآن من أخطاء، ومن ظلم البعض للبعض الآخر، ومن ظهور بعض أصحاب العقول السوداء، وكلّ هذه العشوائيّة، ليست إلّا مرحلة، ونهايتها الـزوال، هي أشبه بالمخاض الذي ستنتج بعده حياة جديدة لسورية المستقبل لكلّ السوريّين.

«بالنهاية، مهما حصل و مهما جرى الإنسان «بيرجع لأصلو .. والسوري أصلو دهب والدهب ما بيتغير...»

ثورة تحت الرماد

خالد قنوت

الرابعة رحلت دامية وقاسية، والخامسة ابتدأت باستعادة راية الثورة، وهذه لرمزيتها الوطنيّة تعطي إشارات جيّدة لما حملته الثورة السوريّة من قيم وأهداف هي الراسخة اليوم في الضمائر الحرّة وسط رياح السموم التي تعصف بالوطن.

إنّ عمليّة مسح جيوسياسيّة على امتداد الوطن السوريّ، قد تعطينا مؤشّرات سيّئة وحزينة لمستقبل سورية، ساهمت قوى دوليّة وإقليميّة ومحلّيّة في تحويل الحالة الثوريّة الشعبيّة التي قام بها سوريّون، نسوا إنسانيّتهم لعقود طويلة، وفجأة شعروا بذواتهم وبوطنهم وبتقاطع مصالحهم مع بعضهم، ومع قيم الحرّيّة والكرامة والعدالة التي نادوا بها فطريّاً عام ٢٠١١، إلى حالة تداعي وانهيار للوطن.

تلك القوى صارت لها مصالح مشتركة في استدامة التدمير البنيويّ لسورية، وبنفس الوقت تتقاطع في حرصها، حاليّاً على وجود النظام المتمثّل برأسه تحديداً ضماناً لشرعنة تدخّلها وتأمين مكتسباتها في الجسد السوريّ، ومن ناحية أخرى هي حريصة على بقاء التنظيمات القاعديّة والمتطرّفة شمّاعة لتدخّلها.

اليوم، وبمقاييس السياسات الدوليّة، وربّما بالمقياس الوطنيّ السوريّ ليس هناك سيناريو قدريّ التحقّق لمآلات الحدث السوريّ، فبقاء النظام الأسديّ أو سقوطه، بما يعني سقوط متلازمة مؤسّسات الدولة والنظام في مقابل الحالة العبثيّة العسكريّة والسياسيّة القائمة على الأرض، وهو معنى وحيد لفشل الدولة السوريّة ولوقوعها تحت رزح قرارات أمميّة ملزمة قادمة سوف لن تخرج منها سورية لعقود.

نعم، وبقدر ما نكون صادقين مع أنفسنا وبقدر الصدمة، علينا أن نرى ببصائرنا مصائر دول الربيع العربيّ بحكم أنّنا نتقاطع كثيراً كدول وشعوب. هذا، إذا استبعدنا نظريّاً جميع التدخّلات الدوليّة، حيث يمكن ربط كلّ سيناريو بتجربة دولة من دول الربيع العربيّ:

- إنّ غياب رأس النظام الأسديّ اليوم عن سورية سيصل بنا إلى حالة أكثر دمويّة من الحالة الليبيّة، بسبب الكثافة السكّانيّة وتنوّعها وطبيعة سورية الجغرافيّة، إضافة لانتشار التنظيمات المتطرّفة ونصف المتطرّفة على كامل الخارطة السوريّة وتواضع وزن القوى الوطنيّة العسكريّة بعد حصارها وعزلها من قبل النظام والدول الفاعلة وحتى المعارضات الخارجيّة الطامعة بالسلطة كهدف مباشر.

- إنّ بقاء رأس النظام في سورية سيصل بنا لحالة أكثر عنفاً وطائفيّةً من الحالة اليمنيّة حيث الإمكانيّات الماليّة الضخمة، وارتباطات عائلة ونظام الأسد سوف لن تدع السوريّين يهنؤون بيوم سلام واحد كما يفعل الرئيس علي عبد صالح باليمن.

- إنّ غياب رأس النظام وبقاء النظام بتركيبته الأمنيّة البوليسيّة سوف تصل بنا للحالة المصريّة، حيث سيستخدم النظام العسكريّ قدراته ويفرض حالة دولة تحت الحكم العسكريّ والأمنيّ من جديد.

- إنّ التغيّر الجذريّ في النظام وغياب العائلة الأسديّة عن المشهد السوريّ سوف يعوّم الحالة الإخوانيّة التي عملت سنين طويلة في المنفى وتعمل منذ أربعة سنوات على تثبيت قواها على الأرض عسكريّاً وسياسيّاً متمثّلة في الائتلاف الوطنيّ والمجلس من قبله، وتطرح نفسها كإسلام معتدل مقبول أمريكيّاً مقابل إسلام متطرّف منتشر ودمويّ، سيصل بنا إلى الحالة التونسيّة الإقصائيّة التي حاولت القوى الإخوانيّة فرضها قبل الانتخابات.

إنّ العامل الذاتيّ لاستمرار الثورة هو جمرها القابع تحت رماد المدن والقرى والأحياء المدمّرة يظهر بين الحين والآخر بمظاهرات السوريّين بين استراحات القصف الجوّيّ الأسديّ واقتحامات القوى المتطرّفة، اللتان تشتركان في نشر العنف والرعب بين المدنيّين.

ستشهد سورية ثورات عديدة حتّى بعد سقوط رأس النظام أو النظام نفسه، بدءاً بثورة الجياع وانتهاءً بثورة الهويّة... ووجود الأجندة الوطنيّة حقيقة، لأيّة قوى سياسيّة تضطلع بمهمّة القيادة، هو الشراع الذي سينقذ سورية والسوريّين من عواصف قويّة قادمة.

ربيع عام 2011 كنت هناك بعيدة

ماجدولين الرفاعي (كاتبة وصحفيّة مقيمة في هولندا) .

في البداية كانت الدهشة تأخذ شكل انفعالات فوضويّة، إذ بعد سنوات من القهر الممضّ وكم الأفواه وسيادة عناصر الأمن والمخابرات على الشعب المسالم الذي أبقته الدكتاتوريّة في دوامة البحث عن الرغيف وسبل العيش مع ترديد شعارات لم يكن يلمس تنفيذها على أرض الواقع، ولكنّه كان يستمرّ في ترديدها خوفاً من السجن والاعتقال، فسيادة الحزب الواحد الأوحد لا تقبل أيّة مهادنة أو نقد وكان التدجين يبدأ من رياض الأطفال وانتهاء بالجامعات ثم ينتقل إلى العمل وويل للمعترض، فكانت الثورة باب الفرج الذي أطلّت منه الوجوه المتعبة والأصوات التي صرخت: حرّيّة.. حرّيّة

في ربيع عام ٢٠١١ كنت هناك بعيدة عن المكان قريبة من سماع صوت الاستغاثات عبر مكبّرات الجامع العمريّ وأصوات أزيز الرصاص كانت البنادق والليل البهيم وانقطاع الكهرباء والاتّصالات يفصلنا عن معرفة ما حدث، وكانت دموعنا وقهرنا صرخات جلجلت في فضاء ليل مخيف عانقت عنان السماء: الله أكبر.

في اليوم التالي، عمّ السكون والوجوم المدينة، استشهد شيخ الجامع ومن معه ودنّس المكان بالأحذية والشعارات المستفزّة وسال الدم الطاهر فوق سجّاد الصلاة، ممّا زاد الثورة توهّجاً وكثرت المظاهرات وتكاتف الجميع بطريقة حماسيّة رائعة فطلّاب الحرّيّة يُقتلون على مرآى ومسمع العالم ولا مجير لهم غير الله وتماسكهم، فانطلقت الهتافات المعبّرة عن خيبة طلّاب الحرّيّة بالعالم وبالأشقّاء في الوطن العربيّ بشكل عام. يا لله مالنا عيرك يا لله، هي لله لا للثورة ولا للجاه، من حوران هلّت البشاير.. وغيرها من هتافات توضح أنّ الهدف من الثورة نيل الحرّيّة والكرامة التي أهدرها نظام الأسد الأب والابن.

وبعدها جاء حصار درعا بالدبّابات حيث عشنا حالات قهر جماعيّة مع منع التجوال وتفتيش البيوت واعتقال الشباب والرجال ومنع المواد الغذائيّة من الدخول للمدينة، ومع محاولة الريف فكّ الحصار ارتكب النظام أفظع المجازر على تخوم درعا من جميع جهاتها فكانت مجزرة صيدا وإزرع واليادودة التي ذهب ضحيتها المئات من الشهداء الذي كان سلاحهم حتّى اللحظة رغيف الخبز وأغصان الزيتون وهتافاتهم بفكّ الحصار عن أخوتهم، وكان من بينهم مجموعة من الأطفال منهم حمزة الخطيب وثامر الشرعي، حيث تمّ اعتقالهما وقتلهما تحت التعذيب بوحشيّة يندى لها جبين الإنسانيّة .

في تلك المرحلة من الثورة سادت حالة مدهشة من التلاحم الاجتماعيّ فالطعام والشمع والماء يتقاسمه الجميع عن طيب خاطر وحبّ ..

عندما زادت عنجهيّة النظام ووحشيّته في قمع الثورة واعتقال المئات من الثوّار وامتداد الثورة إلى كافّة المحافظات السوريّة ومدنها وبدأت مرحلة الكفاح المسلّح فتوقّفت المظاهرات وانتشرت الحواجز وبدأ نفير الحرب ودخلت الثورة مرحلة جديدة، إذ بدأت الاشتباكات وتحرير المدن والقرى وبدأت الانشقاقات في صفوف الجيش تزداد وتيرتها، وعلى الصعيد السياسيّ تشكّلت مجموعة من الأحزاب والتنظيمات السياسيّة وعلى رأسها الائتلاف والحكومة الانتقاليّة وبدأ ضخّ المال والسلاح من جهات ودول مختلفة وبدأت تظهر معالم الحرب الطائفيّة، وزاد النظام من قبحه فراح يحرق البيوت ويقصف الاحياء بأسلحة مختلفة، البراميل والكيماويّ والقنابل العنقوديّة ويعتقل الشعب بالمئات، ولعلّ صور الشهداء التي سرّبت من المعتقلات خير دليل على وحشيّته. كلّ تلك العوامل زاد ت من حركة النزوح واللجوء دون أن تحلّ المؤتمرات التي عُقدت بكافّة مسمّياتها المشكلة، فالنظام متمسّك بكرسيّه والعالم لا يريد أن ترجح كفّة على أخرى فيمدّ الثورة بالسلاح الخفيف ويهادن النظام، وما زاد الطين بلّة ظهور الكتائب الإسلاميّة السنّيّة المسلّحة بكافّة مسمّياتها وأكثر عناصرها من خارج سورية (داعش ،النصرة، غرباء الشام..) وعلى الجانب الآخر راح حزب الله وايران وكتائب أبو الفضل العبّاس العراقيّة الشيعيّة بالقتال إلى جانب النظام تحوّلت سورية إلى ساحة حرب الشعب هو الضحيّة الوحيدة فيها فأصبح الموت خبزهم اليوميّ ولا أمل لهم في الخلاص وهم يتابعون اختلاف الفصائل المسلّحة فيما بينها من جهة واختلاف المعارضة الخارجيّة على المال والكراسي من جهة أخرى وما بينهما النظام يزداد شراسة، وهم بين قتيل وجريح ومهجّر بين الخيام ودول اللجوء بينما العالم يمطرهم بالشفقة والفرجة ..

قد تكون النظرة سوداويّة لواقع الثورة السوريّة العظيمة، لكنّه واقع الحال الذي يلقي بظلاله على يوميّات جميع السوريّين في كلّ مكان فالسوريّ في الخارج يبكي على وطن ضاع منه والسوريّ في الداخل يحاصره الموت والغلاء والنزوح وانقطاع كافّة وسائل الحياة ورغم عرض آمالنا، إلّا أنّنا لا نرى شكل النهاية ولا ملمحها، فالدول الكبرى المتصارعة هي من سترسم خارطة سورية وحدودها بعد انتهاء مدّة صلاحيّة النظام عندهم، وبعد استثمار موتنا خير استثمار وسرقة خيراتنا وآثارنا، فها هي بصرى الشام تتحرّر بعد سيطرة النظام وإيران عليها منذ بداية الثورة فقد انتهوا من نهبها وسرقة آثاره كما باقي الأوابد الأخرى، ولا أستبعد أبداً أن تعرض تلك المسروقات في إيران بشكل علنيّ وليس لنا إلّا الله وأملنا بالنصر والحرّيّة.

الثورة من الأزمة إلى المشروع الوطنيّ؟

أحمد الرمح (الكتلة الوطنيّة الديمقراطيّة)

مع دخول العام الخامس من عمر الثورة السوريّة؛ لابدّ من مرور سريع على ما نتج في عامها الرابع من تعثّر ثوريّ وسياسيّ جعله أكثر أعوامها خيبة للأمل؛ ممّا أدخل المجتمع السوريّ بحالة إحباط نتيجة الانتكاسات السياسيّة والعسكريّة! ولتوصيف ما سبق من عمر الثورة يمكننا أن نقسّم الثورة في الأعوام السابقة إلى ثلاث مراحل:

مرحلة السلميّة: وهي أرقى وأنقى مراحلها. ثمّ مرحلة العسكرة: وهي مرحلة اندفع فيها بعض الثوريّين لحمل السلاح لإيمانهم بأنّ الحلّ العسكريّ هو الأسرع والأنجع مع هكذا نظام. فالمرحلة الداعشيّة: وهي مرحلة تغلغل تنظيمات متطرّفة خطفت الثورة لمصالحها الآيديولوجيّة وعرقلتها وحرفت البندقيّة بالاتجاه الخاطئ.

وإنْ صح هذا التقسيم الزمني للثورة؛ وحتّى لا ندخل في دوّامة اليأس والإحباط، فإنّنا نظنّ لما لهذه المرحلة الأخيرة من سيئات وفواحش ثوريّة فإنّ لها حسنات تصبّ في مصلحة الثورة. إذ أنّها ساهمت بعودة الوعي الثوريّ لكلّ الفرقاء العاملين في الحقل الثوريّ، فقد أيقن جلُّ العاملين في خدمة الثورة أنّه لابدّ من عملٍ ما لإنقاذ الثورة مما آلتْ إليه!

لذلك خرجت وتعالت أصوات تبحث في هذا الأمر؛ وتؤمن بالوقت نفسه أنّ ما يُسمى بعلم السياسة (المعادلة الصفريّة) لم تعد حلّاً عاقلاً ولا في مصلحة الوطن.

ولذلك بدأتْ جدّيّاً بالبحث عن مخرج للأزمة يتمثّل بحلّ سياسيّ لها؛ لا يجعل تضحيات المجتمع تذهب هباء؛ ولا يجعل من إلغاء الآخر (فيزيولوجيا وسيكولوجيا) هدفاً ممكن التحقيق؛ كما حاولت التجربة العراقيّة أن تفعله مع البعثيّين أو الموالين للنظام العراقيّ السابق!.

وهذا أمر طبيعيّ في السياسة، إذ أنَّ كلّ ثورة لها هدف اجتماعيّ وثقافيّ وبالتالي سياسيّ تعمل على تحقيقه، ولهذا ممّا يدور ويُطرح ما بين التكتّلات السياسيّة؛ أنّ ما يحصل من معارك دمويّة على أرض الوطن سينتهي بلا رابح ولا خاسر للطرفين كما يبدو المشهد عسكريّاً!؟. ولكنّ الأكيد أنّ الوطن والمجتمع هما الخاسر الأكبر.

إنَّ أخطر ما في هذه المعارك الطاحنة الخاضعة لأجندات خارجيّة وتصبّ في مصلحتها؛ أنَّ الطبقة الوسطى التي تعدّ صمام أمان أيّة أمّة؛ ومحرّكها الإبداعيّ والتنمويّ والثقافيّ، أصبحت مسحوقة! وهذا نذير اجتماعيّ خطير جدّاً.

أضف إلى ذلك، سيطرة ثقافة العسكرة على المجتمع بمختلف أعماره وتكتّلاته. من هنا يجب أن نتنبه إلى مسألة في غاية الأهمّيّة، أنَّ الهمَّ الأكبر لنا يجب أن ينصبّ لا على إسقاط النظام أو إعادة الإعمار فحسب، إنّما بإعادة المجتمع إلى ثقافة المدنيّة التي كان يتحلّى بها قبل سيطرة ثقافة العسكرة. وهذا أمر ليس بالهيّن أو السهل إنْ فكرنا بالمجتمع استراتيجيّاً.

ناهيك عن بعض الأصوات والمبادرات الخارجيّة التي بدأت تطرح أفكاراً للحلّ؛ تجعل كلّ طرف يبقى بموضعه الذي يسيطر عليه عسكريّاً ومن ثَمَّ تشكيل مجالس وإدارات لكلّ جهة مع وقف لإطلاق النار واعتراف متبادل (خطّة دي ميستورا) وهذه صومعة ملطّفة وتقسيم مناطقيّ قد يؤدّي إلى تقسيم سياسيّ؛ علماً بأنّ صقور النظام والجماعات المتشدّدة لن تقبل بهكذا مبادرة، وبذا يستمرّ النزيف السوريّ إلى ما لا نهاية! ليغدو في المستقبل أمراً واقعاً علينا التعايش معه.

من هنا، بدأ البحث عن حلول واقعيّة لحلّ الأزمة؛ توقف التدمير والتهجير؛ وتعيد الثورة لمسارها الحقيقيّ لإحياء أهدافها الوطنيّة المتمثّلة بالحرّيّة والكرامة للوصول إلى دولة المواطنة لتحقيق ثقافة الديمقراطيّة والعدالة الاجتماعيّة والمساواة بين الجميع على أساس الكفاءة وليس الولاء، لينبثق عن ذلك دستور حضاريّ مدنيّ يكفل حقوق الجميع ؛ فيتولّد عنه قانون يخضع الجميع له دون استثناء؛ وعلى هذا فإنّه يمكننا القول إنْ كنّا جادّين بالبحث عن حلٍّ للأزمة وإنقاذ الثورة؛ لا بدّ من برنامج يعمل على وحدة عمل المعارضة، وليس وحدتها - لأنّ ذلك ثبتت استحالته - يخرج بوثيقة شرف وطنيّ، تأسّس لورقة مبادئ بين كلّ الفرقاء؛ يتنادى من أجلها الجميع نحو مؤتمر وطنيّ شامل للقوى السياسيّة؛ حتّى تستطيع نقل الثورة من الأزمة إلى المشروع الوطنيّ، الذي يمكن أن يُنقذ ما تبقى لإنقاذه من الوطن.

بعض الاستنتاجات بمناسبة الذكرى الرابعة للثورة السوريّة

محيي الدين محروس

ما هي أهمّ الاستنتاجات والـدروس المستفادة من الثورة السوريّة خلال الأربع سنوات من استمرارها، وتقديم الشهداء، ودفع فاتورة كبيرة من المعتقلات والمعتقلين، والمخطوفات والمخطوفين، والمغتصبات، والتهجير والنزوح، والدمار الشامل للبلد؟

بالطبع، لا يمكن كتابة كلّ هذه الاستنتاجات لأربع سنوات من عمر الثورة، من خلال مقالة واحدة. حيث سيكتب المفكّرون والباحثون الكتب حولها، ليتمّ تدريسها مستقبلاً في المدارس والجامعات وعلم الثورات.

لا بـدّ من الانطلاق من الحقائق والوقائع على الأرض، إلى تشكّل المعطيات لأهـمّ الاستنتاجات والتحليلات الموضوعيّة. فما هي أهمّ الأمور السلبيّة والإيجابيّة، التي وواجهتها الثورة؟

الأمور السلبيّة ونتائجها:

- عدم توافق القيادات الوطنيّة السياسيّة والعسكريّة على رؤية واحدة، وميثاق وطنيّ وبرنامج عمل؛ فقدان قيادة سياسيّة فاعلة للثورة على الأرض، وفقدان قيادة عسكريّة موحّدة تعمل تحت قيادة سياسيّة، ثورة بدون برنامج وبدون قيادة.

- عدم توحّد (توافق) فصائل الحركة السوريّة الكرديّة السياسيّة والعسكريّة، أدى إلى صعوبات كبيرة في عمليّات التنسيق السياسيّة والعسكرية ...وأدى إلى معارك على الأرض وشهداء، وهذا يصبّ في مصلحة النظام.

- هيمنة الإخوان المسلمين على المجلس الوطنيّ، وبالتالي على الائتلاف الوطنيّ، أدّت إلى نتائج سلبيّة على المستوى الداخليّ والإقليميّ والدوليّ، منها: صعوبة توافق القوى الوطنيّة السوريّة معهم، نتيجة سياسة الإقصاء التي مارسوها ويمارسونها إلى يومنا هذا، حتّى أنّ دخول بعض الشخصيّات الديمقراطيّة للائتلاف، لم يؤدِّ لعمليّة إصلاحه، نتيجة تركيبته، جزء من الجماهير التي كانت مع الثورة في بدايتها، اتّخذ موقف الحياد، لعدم تأييده للإخوان. كذلك أدّى لتحجيم الدعم الدوليّ للائتلاف طالما بقي بقيادة الإخوان، هذا عدا عن أنّ العديد من الدول - بشكل مستقلّ - تتّخذ موقف الحذر من تقديم أيّة مساعدة عسكريّة، عن طريق الإخوان، والقيادات العسكريّة المتطرّفة.

- إعطاء ضوء أخضر من قبل المجلس الوطني والجيش الحرّ، لدخول المجاهدين من مختلف الدول العربيّة ودول العالم، وحتّى تبنّي الدفاع عن بعض المنظّمات المعروفة لدى العالم بأنّها تابعة للقاعدة، مثل جبهة النصرة و «داعش» وأخواتها، وأعطى المبرّرات للنظام المستبدّ، لاستدعاء الميليشيات الإيرانيّة والعراقيّة وكتائب حزب الشيطان.

- تسليح الثورة، ولا أقصد بهدف الدفاع عن النفس، فهو حقّ مشروع في كلّ القوانين والشرائع الدينيّة، وإنّما في تحرير مناطق دون تأمين حماية جوّيّة لها، أدّى إلى سقوط عدد كبير من الضحايا المدنيّين.

الثورة المسلّحة تعني إطالة المعارك لسنوات طويلة؛ لعدّة أسباب ومنها: عدم التوازن العسكريّ بين فصائل مسلّحة (غير موحّدة)، وجيش نظاميّ منذ عشرات السنين له ميزانيّة كبيرة للتسليح والتدريب.

إضافة لذلك، ليس كلّ مواطنة ومواطن بقادر على حمل السلاح، ممّا يعني قلّة عدد المشاركات والمشاركين في الثورة، بدلاً من أن تكون جماهيريّة وشعبيّة.

- خضوع بعض الفصائل العسكريّة للضغوط العربيّة وللابتزاز (لحاجة السلاح والتمويل)، لأسلمة تسمياتها وشعاراتها، ولحرفها عن أهداف الثورة السياسيّة إلى حروب دينيّة.

الأمور الإيجابيّة ونتائجها:

- التحقت الثورة السوريّة بثورات الربيع العربيّ، وحافظت لأشهر عديدة على سلميّتها، وهو العصر الذهبيّ، رغم وحشيّة النظام في التعامل معها.

- اكتسبت الثورة التأييد الواسع من الدول العربيّة وتركيا والعديد من دول العالم والتنظيمات الدوليّة. وصـولاً إلـى مجموعة أصدقاء الشعب السوريّ، والاعتراف بالائتلاف كممثّل للشعب السوريّ (هذا له سلبيّاته أيضاً). هذا التأييد انخفض فيما بعد لأسباب داخليّة تتعلّق بالثورة وقياداتها، ولأسبابٍ أخرى تتعلّق بالمصالح الدوليّة.

- استمرار مسيرة الثورة رغم استخدام النظام لكافّة الأسلحة، وازدياد عدد القتلى والمعتقلين والمُهجّرين... أجبر العالم على البحث عن حلّ سياسيّ، فتمّ عقد جنيف١ بهدف إدارة الأزمة السوريّة، ومن ثمّ جنيف٢ للوصول إلى حلّ سياسيّ، يؤدّي لمرحلة انتقاليّة، وموافقة الائتلاف على التفاوض (بعد مخاضٍ عسير).

- تشكيل العديد من الأحزاب والتنظيمات السياسيّة والمدنيّة داخـل الوطن وخارجه، وعلى صفحات التواصل الاجتماعيّ، ممّا أعطى دفعاً سياسيّاً وثقافيّاً، وأتاح ممارسة حرّيّة التعبير عن الرأي، التي كان الشعب السوريّ محروماً منها.

- ثورة في الوعي الاجتماعيّ السوريّ، في رفضه لكلّ أشكال الاستبداد السياسيّ والدينيّ، هذا التحوّل النوعيّ هو الضمانة لاستمراريّة الثورة حتّى تحقق أهدافها، مهما بلغت التضحيات.

للأسف، العديد من المحلّلين يميل إلى رمي أسباب الإخفاقات للعوامل الخارجيّة، تبعاً لنظريّة المؤامرة. لا أنفي تأثير هذه العوامل الخارجيّة، لكنّ الأساس هو الانطلاق من العوامل الداخليّة في التحليل.

الثورة مستمرّة وستنتصر.

نعم كلّنا متألّمون لما آل إليه الحال

عقيل حسين – صحفي وناشط

نعم يمكن إعادة ألق الثورة الشعبيّة كما كان عليه الحال في البدايات، ولكن من هم الذين سيقومون بذلك وإلى أيّ حدّ هم مستعدّون لدفع ثمن استعادة روح الثورة وألقها الأوّل؟

بالنسبة لي لم يعد لديّ أيّة ثقة بأيّة جهة أو شخص يطالب بهذا الأمر وهو خارج الحدود بدون سبب منطقيّ يقنع من هو مستعدّ لدفع حياته ثمناً لذلك؟

تتّهمون الإسلاميّين بسرقة الثورة؟! طيب تعالوا نقارن بين ما فعله الإسلاميّون لتحقيق أهدافهم وبين ما فعله الوطنيّون والديمقراطيّون والقوميّون والليبراليّون واليساريّون واليمينيّون والأمميّون ووإلخ؟

لقد كان أصحاب المشاريع الإسلاميّة يتزاحمون على التشبّث بالميدان، بينما لم يبق من أصحاب المشاريع الأخرى من يقبل حتّى بدعم الذين يعتقدون بمشروعه ممّن تبقّى على الأرض، بعد أن استشهد الكثير منهم أو أصبح معاقاً مرميّاً لا يسأل عنه أحد!

ماذا قدم كلّ طرف لمشروعه غير الكلام والأحلام، بينما يقاتل الآخرون من أجل مشروعهم؟! ثمّ عندما نتحدّث عن التسلّح والسلاح باعتبار أنّه تمّ توظيفه في الكثير من الأحيان خارج أهداف الثورة أو حتّى كسلاح لمعارك الآخرين على الأرض السوريّة، فهل هذا يُعفي معارضي التسلّح من مسؤوليّة ترك الساحة لأصحاب السلاح يرزحون تحت ثقل هذه الأحمال، إذا ما اعتبرناهم أصحاب نيّة حسنة، أو في حال اعتبرناهم غير ذلك، فلماذا لم يتمّ التكاتف للوقوف بوجه أيّ انحراف للسلاح؟!

طبعاً، جرى ذلك من خلال الإعلام وصفحات التواصل الاجتماعيّ، ولعمري فإنّ هذا موقف، الردّ عليه بالاعلام وعبر وسائل التواصل الاجتماعيّ هو أكثر ما يستحقّه.

نعم، كلّنا متألّمون لما آل إليه الحال في الثورة، وجميعنا لم يكن يريد أن نصل إلى ما وصلنا إليه، بمن فينا المخطئون والمتجاوزون، بل، وإذا قلنا المنحرفون، ولكن متى كان الندب والتباكي عن بعد هو الحلّ؟!

أعرف العشرات ممن بقوا في حلب متمسّكين بالثورة ومبادئها إلى اليوم، ولكنّ هؤلاء لا عون لهم ولا سند، يتألّمون بمفردهم ويسعون وحيدين لأنّهم لم يقبلوا أن يكونوا أداة بيد أحد، ولا أن ينفّذوا أجندات أحد، ولا أن يبيعوا مبادئهم لداعم أو منظّمة أو غيرها.

تمّ تشكيل العديد من المؤسّسات الثوريّة المدنيّة من قبل ناشطين على الأرض، لكنّها لم تجد من يقدّم لها أيّ دعم ما دامت هذه المؤسّسات نقيّة لا تقبل التجيير ولا التسييس، فبقيت بلا تأثير، واضمحل دورها، ثمّ عاد شبابها للانزواء والبكاء بحرقة قبل أن يفقد الكثير منهم الأمل!

نعم، يمكن استعادة ألق الثورة وروحها الأولى، ولكن بالعمل والتضحيات الجماعيّة، وليس بالانتهازيّة والـكـلام والتباكي وانتظار الآخـريـن أن يقدّموا التضحيات من أجل مشاريع لا يؤمنون بها، ومن كان يؤمن بمشروعه، فليتفضّل إلى الأرض وليعمل من أجله ويضحّي في سبيله، ويقدّم من ماله وجهده ووقته وأمنه ورفاهيته للأهداف التي يسعى من أجلها.

الثورة كذكرى

راتب شعبو (نزيه شعبان)

لم يبق من الثورة السوريّة التي اندلعت ضدّ نظام الاستبداد الأسديّ الذي شهد تحوّلات فاشيّة في سياق الثورة، سوى حطام يحمل في جوف مأساته توق السوريّين للتحرّر.

باتت ثورة الحرّيّة والكرامة السوريّة منفيّة بعد أن استنزف النظام طاقتها الثوريّة وقتل وسجن وأرهب رعيلها الأوّل، ما هيّأ في سورية المناخات الملائمة لازدهار نبتة التطرّف الشيطانيّة التي التهمت الثورة والحرّيّة والكرامة معاً. الثورة السوريّة اليوم لا حضور كثيفاً لها سوى في رموزها الأولى. واليوم بات الثوّار السوريّون المنفيّون والمشرّدون في أصقاع الأرض يمارسون طقوساً إحيائيّة من الخارج متوسّلين هذه الرموز في طقوسيّة توهن الأمل فيما هي تسعى إلى إحياء الذكرى.

خارج سورية، حيث للسلام أرض يستقرّ عليها، بدأ السوريّون بإشادة مسرح لخلافاتهم المزمنة بعيداً عن صوت المدافع والرصاص، وبعيداً عن صراع لا تمثيل فعليّاً لهم فيه. وداخل سورية، آلة الحرب تطحن كلّ شيء، حتّى يصعب على المرء أن يفهم من أين يأتي الفرح «بانتصار» عسكريّ هنا أو هناك، في حين يبدو جليّاً أنّ الانتصار الحاسم ليس في متناول أيّ طرف. وأنّه إذا مالت الكفّة لصالح طرف، فإنّ «العالم الحرّ» سوف يستعيد توازن التآكل من جديد، كما ظلّ يحدث طوال ثماني سنوات من الحرب بين العراق وإيران، حين كان يراد إرهاق الطرفين.

ما يؤلم الروح أنّ الثورة المنفيّة لم تعد ثورة إلّا باعتبارها ذكرى وفولكلور. وقد تعلّمنا من الثورة الفلسطينيّة كيف تجري المبالغة في الرموز كتعويض عن الاحباطات الفعليّة المتواترة. وكيف تتّخذ الخيبة والعجز شكل الإكثار من إشارات النصر ومن تكرار «مستمرّون» ومن رفع النبرة التفاؤليّة والتأكيدات الثوريّة الخاوية.

قد يسقط نظام الاستبداد الأسديّ، وهو سيسقط ولو بعد حين، ولكنّ هذا لن يعني بعد الآن أنّ الثورة انتصرت. الذي سينتصر هو القوّة التي تمكّنت من إسقاط نظام الأسد ولا يوجد قوّة بيد الحالمين بالحرّيّة والكرامة قادرة على إنجاز هذه المهمّة. يمكن أن يسقط نظام الأسد بيد قوى إسلاميّة متطرّفة، عندئذ فالنصر لها ولداعميها على حساب الحرّيّة والكرامة بلا شكّ. وإذا سقط بيد قوى خارجيّة فالنصر لها على حساب أوجاع الشعب السوريّ وتضحياته. الشعب السوريّ الذي أشعل ثورته الأولى على أمل التحرّر، بات خارج حسبان الجميع بعد أن خذله المحلّلون وناشطو السياسة وسلّموه إلى ناشطي الإغاثة. بات الشعب السوريّ موضوعاً للبطش بدعوى «البيئات الحاضنة»، ومادّة للتجنيد الإلزاميّ والحشد وحسب.

بكلّ بساطة، لم تعد الحرّيّة والكرامة هي الدافع المحرّك للصراع السوريّ اليوم، ولم يعد فكّ احتكار السلطة والانتقال إلى شكل دولة تداوليّة حديثة هو هدف أيّ من أطراف الصراع الفاعلين الذين يطمح كلّ منهم إلى إشادة استبداده الخاصّ.

هذا واقع فجّ لا يكلّف المراقب عبء الاستنتاج. الصراع اليوم بين أطراف بعضها يحتقر الديموقراطيّة وبعضها الآخر يكفّر الديموقراطيّة. ما من دولة إقليميّة أو عالميّة دعمت الثورة السوريّة، إلّا كما يدعم حبل المشنقة عنق المشنوق، حسب التعبير الشهير لزعيم الثورة البلشفيّة في روسيا.

هيئة التحرير

سوريّون في السويد

خاص ـ استوكهولم ـ كلّنا سوريون

منذ أن قرّر النظام السوريّ أنّ طريقه الوحيد للحلّ في سورية هو الإيغال في قمع السوريّين بكلّ الطرق ومهما تكن النتائج، بدأت حكاية الرحيل السوريّ تكتب حروفها بمأساويّة، رحيل بدأ داخل سورية من حيّ إلى حيّ، ومن قرية إلى قرية، ثمّ من مدينة إلى مدينة لكنّ الموت الذي زرعه النظام في وجوههم أينما ذهبوا دفعهم إلى اللجوء لخارج سورية.

على الحدود التي تحيط بسورية انتصبت خيام السوريّين ونام أبناؤها في العراء ليبدأ الفصل الثاني من المأساة السوريّة، في الدول التي هربوا إليها في البداية كان مكسبهم الوحيد أنّهم لم يعودوا يموتون بالقصف والقنص، بل أصبح موتهم برداً وجوعاً ومرضاً، وهكذا بدأ السوريّون البحث عن أرض تمنحهم شروطاً أفضل للحياة فغادروا إلى البعيد.

تقدّر دائرة الهجرة السويديّة أنّ عدد السوريّين الذين وصلوا إلى السويد منذ بداية الأحداث وحتّى الشهر العاشر من عام ٢٠١٤، بـ ٣٦ ألف سوريّ وصلوا برّاً وبحراً وجوّاً ...بهجرة شرعيّة وغير شرعيّة.

ينصّ قانون التعليم السويديّ على أنّ لجميع الأطفال والأحداث حقّ الحصول على فرص متساوية للتعليم، بغضّ النظر عن الجنس أو مكان عيشهم أو أيّة عوامل اجتماعيّة أو اقتصاديّة أخرى، إنّ الحضور في المدرسة إلزاميّ لكلّ الأطفال حتّى العام الدراسيّ التاسع ويداوم اليوم تقريباً جميع الأطفال في الصفوف التمهيديّة غير الإلزاميّة في سنّ السادسة، وعمليّاً، يعني هذا إنّ الأطفال يتلقّون عشرة أعوام من التعليم إجمالاً.

ستقوم جريدة كلّنا سوريّون بتحقيقات متتالية ترصد فيها حياة هؤلاء السوريّين الذين وصلوا إلى السويد.

يوم من حياة طفل سوريّ في «فيمربي»:

اسمي: أوس، عمري ١٢ عاماً، وصلت إلى السويد في نهاية عام ٢٠١٤ أوّل ما شاهدته في السويد هو الثلج أحسّست ببرد شديد وحلمت بالعودة لسورية.... «سورية أدفى».

أذهب الآن إلى المدرسة صفّي اسمه صف (الانترناشونال) وهو تابع لمدرسة «أستريد لندْجرين Astrid Lindgren *» فيه ١٨ طالباً، ثلاثة عشر منهم سوريّون، أمّا الآخرون فقد قدموا من «قرغيزستان، وتايوان، وأفغانستان وصربيا» هنا نتعلّم اللغة السويديّة ونتعلّم أيضاً لغتنا الأمّ.

يولّا Ulla مدرّسة في الصفّ الدوليّ تقول: نحن حريصون على أن يبقى الطالب على تواصل مع لغته الأمّ، لذلك نتعب كثيراً في تأمين مدرّسين للغة الأم، لدينا ثلاثة مدرّسين يدرّس كلّ منهم طالباً واحداً.

- يبدأ يومنا في الثامنة والربع صباحاً، يقول أوس، ويضيف: لكلّ منّا خزانته الخاصّة، كأس الشايّ والحذاء الخاصّ الذي نلبسه داخل الصفّ ... الصفّ هنا أقرب للبيت فيه مطبخ ومكتبة وخزائن الألعاب... نتعلّم حروف اللغة السويديّة ومفرداتها ونلعب ... في الحادية عشر صباحاً نذهب إلى مطعم المدرسة .. مطعم كبير ونظيف نخدم أنفسنا ونقف على الدور لنملأ صحوننا من بوفيه مفتوح، هناك يجتمع كلّ الطلّاب السويديّين وغير السويديّين على طعام الغداء، لم أستسغ الطعام السويديّ في البداية لكنّني شيئاً فشيئاً بدأت أحبّه.

بعد أشهر من وجودنا في الصفّ الدوليّ سننتقل إلى المدرسة العاديّة، هناك سيكون كلّ منّا في الصفّ المناسب له وهناك سنكون مع طلبة سويديّين وغير سويديّين.

لا يذهب الأطفال فقط إلى المدارس، بل تذهب العائلة بكاملها لتعلّم اللغة السويديّة وأشياء أخرى تعلّمهم القوانين السويديّة وكيف يفتحون بوابة الاندماج مع المجتمع الجديد.

تطبّق الحكومة السويديّة برنامجاً خاصّاً للقادمين الجدد الذين تزيد أعمارهم عن ١٨ سنة يسمّونه في السويد (برنامج الترسيخ) مدّة هذا البرنامج سنتان وهو متعدّد المستويات، يبدأ من المستوى A وينتهي في مستوى D يهدف هذا البرنامج إلى تعليم الكبار اللغة السويديّة للمهاجرين، وهو مستوى من اللغة يؤمّن لهم الحدّ الأدنى من المفردات والقواعد التي تسمح لهم بالعيش والعمل داخل المجتمع السويديّ، ويعلّمهم أيضاً مهارات عمليّة متوافقة مع الأعمال التي كانوا يقومون بها في بلادهم، وكذلك يعرّفهم بالقوانين السويديّة الأساسيّة التي يحتاجونها في السويد.

تدفع الحكومة السويديّة راتباً شهريّاً مقابل التحاق المهاجرين بهذه المدارس.

والكبار إلى المدرسة

«أبو زياد» سوريّ قادم مع عائلته من مدينة الحسكة عمره ٥٨ عاماً يذهب إلى المدرسة مع ابنه وزوجته يضحك قائلاً: «بعد ما شاب ودوه ع الكتّاب»، ويكمل، اللغة السويديّة صعبة لم يعد لديّ القدرة على تعلّم لغة جديدة لكنّني أحاول، ابني وزوجتي أفضل منّي في المدرسة في البيت يسخرون من محاولاتي في قراءة

السويديّة، أظنّ أنّني سأبقى طويلاً بمستوى A.

«عليّ» عمره ٢٥ عاماً هو الآن في المستوى C يقول: البرنامج مكثّف ومتعب، لكنّهم يقدّمون كلّ ما نحتاجه لكي نتعلّم سريعاً، سأنهي المستوى D وبعدها أفكّر في إكمال دراستي الجامعيّة.

في برنامج الترسيخ المخصّص للكبار تجتمع جنسيّات كثيرة من العالم ... ويشكّل السوريّون الآن النسبة الأعلى بينهم .... وأنت تجلس في المطعم ...تسمع السوريّون بلهجاتهم المتعدّدة وبصخبهم وباختلافاتهم السياسيّة .... وبضحكاتهم ....

يقول ماتس: - وهو موظّف سويديّ يعمل في إدارة شؤون المهاجرين - من الضروريّ أن يحاول الجميع الاستفادة من برنامج الترسيخ الذي يستغرق سنتين ..لأنّه سيكون بوابة القادم إلى حياته واستقراره.

أحمد سوريّ من حلب ... لا يهتمّ كثيراً بتعلّم اللغة ولا ببرنامج الترسيخ ... يقول: سأبقى سنتين هنا لأنّني بحاجة إلى الراتب الشهريّ ... وبعدها سيستمرّون بمساعدتي ...سأعيش على المساعدة الاجتماعيّة.

من هي Astrid Lindgren؟

ولِدتْ «أستريد لندجرين» في مدينة فيمربي في ١٤ نوفمبر ١٩٠٧م، مؤلّفة وأديبة مرموقة وكاتبة سيناريو سويديّة الأصل، تخصّصت في أدب الطفل، لتكون بذلك الكاتبة السويديّة الوحيدة التي وضعت علامة هامّة ومميّزة على أدب الأطفال في العالم.

بدأت حياتها المهنيّة كمحرّرة صحافيّة، ولُقبت بـ «معلّمة الأجيال»، كما تمّ تصنيفها كالكاتبة الثامنة عشرة في العالم، من حيث كثرة عدد أعمالها المُترجمة، وبلغ عدد كتبها أكثر من ١٠٠ قصّة وكتاب، ترجمت غالبيتها إلى ٧٦ لغة من لغات العالم المعروفة، وتمّ بيع ملايين النسخ منها حول العالم (ما يقرب من ١٤٥ مليون نسخة)، لتُعدّ بذلك من أبرز كتّاب قصص الأطفال خلال القرن العشرين.

صغار سوريّون في ماردين

يجتمعون حولك ليحكي كلّ واحد منهم معاناته في العمل وتركه لمدرسته وأصدقائه والشارع الذي كان يلعب فيه، بالمقابل ولصغر سنّهم ترى أحدهم يسألك: ألن تجبرونا على العودة إلى سورية في هذه الأوضاع؟ فنشرح لهم عملنا بأنّنا جريدة «كلّنا سوريّون» ننقل معاناتكم للداخل السوريّ وللعالم الخارجيّ. حينها ينادي بعضهم بعضاً فترى مجموعة كبيرة من الصغار السوريّين حواليك، وأنت كنت تظنّ بأنّ هذا السوق لا يوجد فيه إلّا اثنين أو ثلاثة من صغارنا الذين أجبروا على مغادرة الوطن مع ذويهم واضطرّوا للعمل في أعمال شاقّة وبساعات طويلة بدل الجلوس على مقاعد الدراسة.

ساعات عمل طويلة وأجرة قليلة

سوق البقر في ماردين القديمة سوق قديمة تحوي دكاكين عديدة ومتنوّعة وأسعار المواد فيها مقبولة مقارنة بغيرها من المحلّات في السوق الجديدة التقينا فيها بعدد من الصغار حيث تحدّث لنا كلّ منهم بالتالي:

أحمد داود: أنا من مدينة عامودا عمري (١٥) سنة أتيت لماردين منذ ثلاث سنوات أعمل في دكان للخضرة من الساعة السابعة صباحاً وحتّى الخامسة مساءً بأجرٍ يوميّ قدره عشر ليرات تركيّة والعمل صعب ولكن ماذا أفعل فأنا مجبر ولا أستطيع العودة لبلدي وأتمنّى العودة كي أدرس مثل غيري من الأطفال.

محمّد حيدو: أنا من قامشلو عمري (١٣) سنة، منذ سنة أتيت إلى هنا أعمل في دكّان للسجاد من الساعة التاسعة صباحاً حتّى الرابعة عصراً بأجر يوميّ قدره سبع ليرات تركيّة وعملي ليس صعباً ولكن أجرتي قليلة وقد كنت في الصفّ الخامس.

أحمد محمود: أنا من قامشلو عمري (١٥) سنة، منذ سنتين أتيت إلى هنا وفي سورية كنت أعمل لدى قصّاب وهنا عملت في أعمال عديدة من فرن إلى دكّان للبهارات إلى ماركيت والآن أعمل لدى قصّاب من الساعة السادسة صباحاً وحتّى الخامسة مساءً بعشر ليرات تركيّة والعمل صعب وظهري تؤلمني ولكنّني أعمل لأجل عائلتي فأبي أيضاً يعمل ولكن المصروف ثقيل على أبي وأريد العودة لسورية (الله يطفّي هل النار) لنعود إلى بيوتنا.

محمود حميرة: أنا من محافظة الحسكة من مدينة تل تمر عمري (١٢) سنة، منذ سنتين وأنا هنا وقد كنتُ في الصف الرابع في تل تمر أمّا هنا فعملت في مطعم ثمّ لدى خيّاط والآن في دكّان خضرة من السابعة صباحاً حتّى السادسة مساءً بأجر يوميّ قدره ستّ ليرات تركيّة وأتمنّى أن أعود إلى بلدي وأذهب إلى مدرستي فقد اشتقت لها.

عبدالوهاب حميرة: أنا من مدينة تل تمر في محافظة الحسكة عمري (١٤) سنة، منذ ثلاث سنوات وأنا هنا ولم أكن أدرس في سورية وهنا أعمل في مقهى من الثامنة صباحاً وحتّى الخامسة مساءً وبعشرين ليرة تركية ولكن ضجرت وأريد العودة إلى بلدي.

أحمد حميرة: أنا من تل تمر عمري (١٣) سنة كنت في الصفّ الخامس وقد تركت مدرستي وأتيت مع عائلتي إلى ماردين وأعمل في مطعم من الثامنة صباحاً حتّى الخامسة مساءً بأجر يومي قدره خمسة عشر ليرة تركيّة والعمل صعب ومتعب ولكنّني مجبر وأريد العودة لسورية (أموت وأعود إلى سوريا)

رأي مواطن تركي

اسمي (بكر أولغاج) مواطن تركي من ماردين لدي دكّان خضرة ومن الحرام أن يفعل أصحاب الأعمال ذلك بالأطفال السوريّين فيجب أن نهتمّ بهم ونراعي وضعهم فسبع ليرات وعشر ليرات لا يفعلان شيئاً ولا قيمة لهما ولا أريد أن يعمل الأطفال فضميري لا يحتمل ذلك.

وعند سؤالنا له: لو حدث لكم ما حدث لنا وأتيتم إلى سورية وتعاملنا مع صغاركم كما تتعاملون مع صغارنا وكنتم مجبرين على تشغيل صغاركم ماذا كنتم تقولون عنّا؟

أجاب: بالنسبة لي، لا أقبل أن يعمل أطفال أبداً ولكن كما تقولون لو اضطررت لذلك لقلت أمري لله وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ليس للسوريّ إلّا الريح

كما قال الشاعر الكبير محمود درويش: ليس للكورديّ إلّا الريح.

فقد أصبح السوريّ وحيداً في عالم صامت لذلك لن ننادي أحداً، بل سندعوا الله أن يخلّصنا من طاغية دمشق، لنعود إلى بلادنا ونعمّرها وتزدهر بالمحبّة وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المحامي علي كولو

القضاء في ظلّ الثورة بين واقعه وتداعياته

كلّنا يعلم الدور الحيويّ للقضاء في أيّ مجتمع أو بيئة، كما نعلم جميعاً مدى خطورة الجانب القضائيّ في حياة الشعوب حيث يعتبر مقياساً رئيسيّاً وهامّاً جدّاً لمعرفة مدى تقدّمها ورُقيّها من خلال القوانين المعمول بها والإجراءات القضائيّة المتبعة ومدى احترامها لحقوق الإنسان وقدرتها على تحقيق العدالة في المجتمع.

ولكن في سورية، وفي ظلّ ما تشهده المناطق الخارجة عن سلطة النظام من قتل وتدمير مستمرّ ومن تفشي خطاب دينيّ متخلّف ومريض لا يمتّ للدين الإسلاميّ أو أيّ دين سماويّ آخر بأيّ صلة ولا يحمل في مفرداته سوى الجهل والشموليّة وإقصاء الآخر.

محاكم أم هيئات؟

في ظلّ هذا الواقع، وفي ظلّ غياب مفهوم الدولة ومؤسّساتها في المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، كان لا بدّ من قيام محاكم كي تعمل ولو بالحدّ الأدنى على ملء ذلك الفراغ الذي لا بدّ من ملئه بأيّ حال من الأحوال، ولكن كنتيجة طبيعيّة لما تقدّم لم يكن للقضاة والحقوقيّين في تلك المحاكم أيّ دور يذكر، وتمّ إقصاؤهم وتهميشهم من قبل من يسمّون أنفسهم اليوم (الشرعيّين) لا بل ومحاربتهم بتهمة أنّهم «أزلام النظام السابقين» وبحجّة أنّهم يعملون وفقاً للقوانين الوضعيّة التي تخالف الشريعة الإسلاميّة، وأنّهم دعاة علمانيّة ومعادين للمشروع الإسلاميّ.

ومنذ قرابة العام أصدرت الهيئة الشرعيّة في حلب قراراً يمنع الترافع أمام القضاة من أجل المتّهمين من قبل المحامين، ثمّ أصدرت قراراً بمنع دخول المحامين (غير الملتحين) إلى الهيئة الشرعيّة وعدم قبول دعاويهم أو مرافعاتهم.

وبذلك، خلت تلك المحاكم والتي أيضاً أصبح اسمها (هيئات شرعيّة) من القضاة والحقوقيّين وأصحاب الكفاءة في هذا المجال، وبالتالي فقدت أدنى معايير المهنيّة في عملها القضائيّ.

كلّ هذا، كان ثمرة ذلك الخطاب الدينيّ المقيت الذي استطاع أسلمة الثورة بطيف كبير منها واستطاع استجرار عواطف الثوّار من الجيش الحرّ للانجرار خلف ذلك الخطاب، حيث بدأت تلك الفصائل بتشكيل تلك الهيئات الشرعيّة للعب دور القضاء في المناطق الخاضعة لسيطرتها.

بنية الهيئات الشرعيّة:

تتألّف تلك المحاكم أو الهيئات من أشخاص ملتحين يسمّونهم المشايخ أو الشرعيّين ينتمي كلّ منهم لفصيل عسكريّ معيّن أو في أحسن الأحوال يكون محسوباً على ذلك الفصيل ويتمّ تعيينهم من قبل قادة تلك الفصائل وفقاً لنظام محاصصة معيّن بينها، وهم من يلعبون دور القضاة في محاكم لا يحكمها أيّ قانون وتصدر فيها أحكام بناءً على فتوى الشيخ حسب مدى فهمه هو للشريعة الإسلاميّة لا أكثر، وغالباً ما يكونون أشخاصاً لا يحملون حتّى إجازات جامعيّة بالشريعة الإسلاميّة.

وعندما تختلف بعض الفصائل مع فصائل أخرى شكّلت هيئة شرعيّة معيّنة، تقوم تلك الفصائل الغير مشاركة بتشكيل محكمة شرعيّة في منطقة نفوذها ولا تعترف بالمحكمة الأخرى، وتُصدر أحكامها ضمن المناطق الخاضعة لنفوذها.

أمثلة عن أبرز رؤساء تلك الهيئات الشرعيّة:

(حسن الكيّاري) رئيس الهيئة الشرعيّة والتي كانت تسمى الرباعيّة – نسبة لاشتراك أربعة فصائل رئيسيّة في حلب بتشكيلها – كان يحمل شهادة الابتدائية فقط، وكان يعمل أعمالاً حرّة بسيطة ليكسب قوت يومه قبل الثورة.

(أبو جابر) وهو من جبهة النصرة، أيضاً أصبح رئيساً للهيئة الشرعيّة لفترة ما ولا أحد يعرف اسمه أو مدى كفاءته.

(عبد القادر فلّاس) الآن هو رئيس الهيئة الشرعيّة بحلب وأيضاً لا يحمل إجازة بالشريعة، ولكنّه من جماعة أهل الدعوة.

وغيرهم الكثير من الأمثلة التي لا مكان لحصرها هنا، من الأشخاص الذين لا يحملون أيّة كفاءة علميّة مطلقاً، والآن هم قضاة في تلك الهيئات الشرعيّة.

القانون المعمول به في تلك الهيئات:

لا وجود لقانون يرتكز عليه هؤلاء الشرعيّين في إصدار أحكامهم بزعم منهم أنّ القوانين الوضعيّة تخالف الشريعة الإسلاميّة وعليهم أن يطبّقوا شرع الله من خلال القرآن وسُنّة نبيّه محمّد عليه الصلاة والسلام.

لكنّنا عندما نرى أنّ لكلّ هيئة من تلك الهيئات أحكاماً تختلف عن أحكام الهيئة الأخرى، وأحياناً يكون لكلّ قاضٍ منهم، حكم يختلف عن حكم القاضي الآخر في نفس القضيّة ضمن نفس الهيئة – علماً أنّ الجميع يدّعون أنّهم يطبّقون شرع الله – نتساءل، أيّ شرع من تلك الشرائع المطبّقة هو شرع الله؟!

وفي سابقة أخرى أيضاً، لم يشهد القضاء مثلها، فإنّ القضاة أو الشرعيّين لا يلعبون دور القاضي فقط والذي يحاول أن يكون على أعلى درجات الحياديّة والنزاهة، وإنّما قد يقوم أحدهم بلعب دور المحقّق والقاضي معاً فيقوم بنفسه باستجواب المعتقلين وإدانتهم والحكم عليهم بالوقت ذاته.

المحاكم الشرعيّة ليست مجرّد محاكم!!!

في الغالب لم تكن تلك المحاكم هي مجرّد محاكم، وإنّما كان هؤلاء الشرعيّين يتقنون أعمالاً أخرى كاستصدار أوراق إذن المرور للبضائع والسيّارات، وبيع وشراء ما تتمّ مصادرته بقرار قضائيّ صادر عنهم واصدار شهادات الانشقاق للعسكريّين المنشقّين عن النظام وإصدار شهادات الوفاة والميلاد، كما كانت تلك الهيئات تضمّ مكاتب خدميّة ما كان يسمّى مكتب الخدمات الإسلاميّة، كما أنّ وظيفتها إصدار الفتاوى لقادة الفصائل بجواز القيام بعمل ما أو عدمه.

محمّد قنطار

وإن اختلف السجّان ... السجن واحد

اعتُقل عبد القادر حدّاد، المعروف باسم عبود حدّاد، في ٢٦ حزيران ٢٠١٣، على يد «داعش» في منطقة ريف إدلب بينما كان في طريقه إلى تركيّة.

أصبح حدّاد مصوّراً يوثّق الانتهاكات المرتكبة في سورية منذ كانون الأوّل ٢٠١١، حيث عمل متعاوناً مع العديد من وسائل الإعلام السوريّة والأجنبيّة، وبينما لا تزال أسباب اختطافه مجهولة حتّى الآن، لم تتلقَ عائلته أيّة معلومات عنه منذ ذلك الحين.

عبد القادر الحدّاد من مواليد مدينة دمشق ١٩٩٢/١/١، والدته المعدّة والكاتبة فاتن عجّان ووالده الصحفيّ والناقد المسرحيّ راتب الحدّاد.

درس في دمشق وتعلّم الموسيقى كما قام بكتابة وتلحين عدّة أغاني، حيث تمّ تسجيلها في بيروت وذلك بسبب رفض الاستديوهات في دمشق من تسجيلها لمحتواها الذي يتحدّث عن التمايز الطبقيّ في المجتمع السوريّ.

توفي والد عبود حدّاد عندما كان عمره عام ونصف العام، ممّا اضطرّ والدته للعمل تعويضاً لفقدان الأب وضاعفت جهدها في العمل كي تؤمّن مستقبل أفضل لأولادها.

ناشدت الصحفيّة السوريّة فاتن عجّان والدة البغداديّ زعيم تنظيم «داعش» وزوجته، إطلاق سراح ابنها عبد القادر، المعتقل لدى التنظيم، وذلك في رسالة وجّهتها عبر أثير إذاعة «روزنة»، وطلبت من والدة البغداديّ وزوجته أن يتبادلن الأدوار مع أمّهات المعتقلين والمخطوفين، ويشعرن بلوعة فراق الأبناء والخوف عليهم، وتساءلت عن سبب الاستمرار في اعتقالهم طوال هذه الفترة، بالرغم من أنّ ابنها لم يمارس أيّ نشاط عسكريّ، وبأنّ عمله كان يقتصر على تصوير الحالات الإنسانيّة وعن معاناة الأطفال والنساء خلال الحرب، وذلك بعد انشقاقه من الخدمة العسكريّة في جيش النظام السوريّ، وذكّرت فاتن عجّان بالعديد من المعتقلين كعبيدة بطل ومحمّد العمر وسمر صالح وعبود العتيق والمهندس حسام الدين وغيرهم من المغيّبين في سجون التنظيم. يبقى السجن واحد وإن اختلف السجّان.

انتقام... بالمصادرة

خائن!!! تهمة معدّة مسبقاً لكلّ من يقف في المقلب الآخر سياسيّاً. طبعاً للتهمة تبعات شخصيّة كالتشهير والاعتقال وقد تصل للقتل، واقتصاديّة كالحجز على أموال المعارض أو مصادرتها.

وبدون أيّ مستند قانونيّ أو شرعي مارست كلّ أطراف الصراع في سورية المصادرة بناءً على الموقع السياسيّ للشخص الذي تمّت مصادرة أمواله، داعش تصادر أو تحرق أموال من يخالفها والنظام يصدر قرارات بالحجز أو المصادرة بحقّ معارضيه وفصائل المعارضة تصادر أموال بعض المواطنين والتهمة جاهزة لمصادرة أمواله (شبّيح)

سنحاول تسليط الضوء على ما قام به النظام من مصادرة أو حجز لأموال المعارضين السوريّين سواء أكانوا سياسيّين أو رجال أعمال أو ضبّاط منشقّين أو فنّانين.

الحجز

يعرّف القانون السوريّ الحجز الاحتياطيّ بأنّه: وضع مال المدين تحت يد القضاء لمنعه من القيام بأي عمل يؤدّي إلى استبعاد المال من دائرة الضمان العام للدائن الحاجز.

ولم يسمح القانون السوريّ بالحجز الاحتياطي بالاستناد إلى المواقف السياسيّة وإنّما عدّدَ حالات واضحة ومحدّدة يجوز فيها الحجز الاحتياطيّ على أموال المدين. ويشترط قانون أصول المحاكمات السوريّ أن يصدر قرار الحجز عن جهة قضائيّة ويُحدد في قرار القاضي الأموال التي يجب أن يقع عليها الحجز وحدّد القانون بعض الأموال التي لا يجوز أن يقع عليها الحجز؛ إذاً كلّ حجز لا يصدر عن جهة قضائيّة ولم يكن من ضمن الحالات التي حدّدها القانون يعتبر باطل.

المصادرة

المصادرة هي نزع مال من يد صاحبه لصالح السلطة العامّة، والمصادرة نوعان: مصادرة عامّة وتميل معظم التشريعات إلى الغائها، ومصادرة تقع على مال معيّن بذاته، والمصادرة بنوعيها يجب أن تكون قانونيّة وقضائيّة.

وتعني قانونيّة المصادرة: أن ينصّ عليها في قانون العقوبات أو أيّ قانون خاصّ آخر، وبذلك لا يجوز مصادرة أموال أيّ شخص لارتكابه فعل مباح أي غير مجرّم، مهما كان هذا الفعل لا يوافق السلطات الحاكمة وقناعاتها.

أمّا قضائيّة المصادرة فيعني:

أنّه لا يجوز مصادرة أموال أيّ شخص بدون حكم قضائيّ مبرم صادر وفقاً للأصول القانونيّة عن جهة قضائيّة مختصّة، ولا يحقّ لأيّة جهة إداريّة أو أمنيّة أن تقوم بفعل المصادرة لأنّ ذلك يعتبر خرقاً للقوانين وتعدّياً فاضحاً يعرّض تلك الجهات للمساءلة القانونيّة.

إرهاب وغسيل أموال

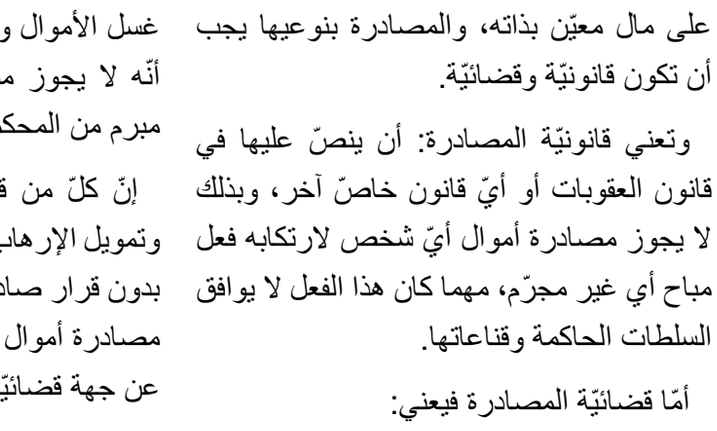

معظم قرارات الحجز أو المصادرة كانت تحت مظلّة قانون الإرهاب أو غسيل الأموال، حيث ينصّ قانون الإرهاب على تجميد الأموال المنقولة وغير المنقولة لكلّ من يرتكب إحدى الجرائم الإرهابيّة، ولكن بشرط أن يكون هناك دلائل كافية، وتحديد ما إذا كانت الدلائل كافية أم لا يعود للنائب العامّ حصراً، ولا يحقّ لأيّة جهة غير قضائيّة أن تأمر بتجميد الأموال.

وبحسب القانون ينصّ حكم الإدانة بمصادرة الأموال المنقولة أو غير المنقولة العائدة للمنظّمة الإرهابيّة وبمفهوم المخالفة لا يجوز أن تصادر الأموال ما لم يصدر حكم بالإدانة عن الجهة القضائيّة.

وقانون غسيل الأموال وتمويل الإرهاب ينصّ أيضاً على مصادرة الأموال الناجمة عن جرائم غسل الأموال وتمويل الإرهاب؛ ويستفاد ممّا تقدّم أنّه لا يجوز مصادرة الأموال قبل صدور حكم مبرم من المحكمة.

إنّ كلّ من قانون الإرهاب وغسيل الأموال وتمويل الإرهاب لم يسمحا بحجز أموال المواطنين بدون قرار صادر عن جهة قضائيّة كما أنّهما منعا مصادرة أموال المواطنين بدون حكم مبرم صادر عن جهة قضائيّة مختصّة.

وبذلك تكون كلّ قرارات الحجز أو المصادرة التي صدرت عن النظام السوريّ وبعيداً عن القضاء، هي أعمال بلطجة تدخل تحت بند الانتقام والتشفّي والتي تعيدنا إلى عهود ما قبل الدولة إلى عصر البربريّة.

الخاتمة

تركيزنا على قرارات النظام بالحجز والمصادرة لا يعني بأيّ شكل أنّ الجهات الأخرى بريئة، فالأحداث على الأرض تثبت أن كلّ الجهات ارتكبت جرائم مصادرة وحرق لأموال المواطنين بدون أحكام قضائية.

والمصادرة بدون مستند شرعيّ هي قرصنة ولصوصيّة أيّاً كان من يطبّقها معارضة أم نظام أم «داعش» وكلّ الخطابات والتهم السياسيّة للأفراد المصادرة أموالهم لن يغيّر من حقيقة الفعل.

المحامي محمّد حمو

الخوف الساكن في عيونهم (أطفالنا في دول اللجوء)

ما يزال الخوف مرافقا للسوريّين أينما حلّوا، فمن قال إنّ جدار الخوف قد كسر لديهم؟! الخوف قابع في أعماق السوريّين، وخاصّة السوريّ اللاجئ في البلدان التي تدّعي الأخوّة وتدّعي وحدة الحال (سابقاً).

السوريّ هو السوريّ، الذي لا انتماء له إلّا ضمن حدود بلده والتشبيح يحلّ عليه في كلّ مكان يحلّ به.

قصّة واقعيّة

هكذا كانت عيون الطفلة السوريّة «ريم» تقول عندما سُئِلت عن بلدها، لم تجب بأيّة كلمة فقد كانت عيناها تجيبان بكلّ صدق، خافت النطق حتّى بكلمة سورية هي بلدي، وأنا من إحدى المناطق التي تتكثّف بها الحرب.

عيون الأطفال كفيلة بأن تروي قصصهم، معاناتهم، وألمهم الصادق. يكفي أن ترى لباسهم حتّى تدرك أنّهم غادروا بلدهم مسرعين هرباً من الموت الذي يطال كلّ شيء في سورية وخاصّة روح الإنسان التي تعبت من الصمود أمام هول الأحداث وتساقط الدماء.

كانت تبكينا قصّة بائعة الكبريت لثيابها الرثّة وازرقاق يديها من البرد وعيونها المتوسّلة. لقد تكرّر المشهد ذاته لكن بقصّة واقعيّة أكثر لنا، إنّها حكاية الطفل السوريّ، فقد أصبح لكلّ منهم حكايته المبكية التي ترويها عيونهم وكلّ خليّة من جسدهم، لم يغادر الخوف أرواح السوريّين، بل على العكس توطّن فيها مع كلّ صوت مروحيّة، أو صفارة إنذار عابرة، لسيارة إسعاف تمرّ على عجل، وحتّى صوت المفرقعات بات يثير الهلع في نفوس السوريّين الهاربين من الحرب.

فكيف إذاً، بإقحامهم في أسئلة كانت بديهيّة للجميع، وليست بديهيّة فحسب ومدعاة للتفاخر، السؤال عن الموطن والانتماء هذا السؤال البديهيّ أصبح يشكل ارتياباً لدى السوريّ الذي عانى الأمرّين في بلده هجره، فانعكست معاناته بطرق أخرى وخاصّة في بلدان اللجوء التي كثّفت خوفه وكسرت شيئاً ما بداخله، فهم الآن بشر بلا انتماء بلا هويّة بلا وطن يحميهم، أصبحوا عراة من كلّ شيء، فهويّتهم في وجوههم في بريق عيونهم وسلوكهم الخجول.

عالم بلا إحساس

إحدى البائعات اللبنانيّات تردّ على الحالة المأساويّة لأطفال سورية: الله يلعن يالّي كان السبب..

السبب هو الذي أوصل السوريّ للذلّ في بلده، وهو نفسه السبب الذي جعل السوريّ يهرب من الذلّ في وطنه ليُذلّ في مكان آخر، اختلف المكان والخوف واحد والمعاناة واحدة وماتزال عيون الأطفال تتكلّم وتتكلّم ليصمت كلّ من رآها ويعرف حكايتها حكاية ألم وخوف وهروب بدون التطرّق إلى السؤال.

ماذا نفعل نحن السوريّين لنمحي خوفنا الذي صنعه تاريخنا وأكّده حاضرنا ومرافقاً لنا في هروبنا؟ ماذا نفعل والعالم كلّه يرى ويسمع لكنّه فاقد الإحساس نحونا، فقط نحونا نحن السوريّين؟

هذه الطفلة السوريّة في صمت عيونها، تكلّمت أكثر ممّا تكلّم العالم كلّه في حربنا وموتنا المستمرّين، فعيون الأطفال لا تكّذب، عيون الأطفال تعكس قمّة المأساة التي وصل إليها الإنسان السوريّ والطفل السوريّ اليوم في القرن الواحد والعشرين.

من المسؤول؟

مرشدة اجتماعيّة تعمل في إحدى المدارس السوريّة في لبنان تقول: إنّ الوضع النفسيّ للأطفال السوريّين خطير وهم بحاجة لمنظّمات عالميّة تكفل علاجهم.

وتتابع القول:

مثال على ذلك أنّ فتاة في التاسعة من العمر قد سحبت سكين وبدأت تصرخ وتركض بالشارع فما كان منّي إلّا أن لحقت بها - أي المرشدة - ولم تكفّ الطفلة عن الصراخ بل زاد حين حاولت الاقتراب منها ومعرفة سبب سلوكها العنيف، أخذت تصرخ بكلّ قوّتها تريد أن تقتل نفسها أمامي، فما كان منّي إلّا أن حاولت تهدئتها وأنا في صدمة من هكذا سلوك يبدر عن طفلة، فالذي دفعها لمثل هكذا سلوك هو ليس حالة نفسيّة بسيطة فالأطفال السوريّون قد رزحوا تحت ضغوط هائلة إن كان في بلدهم جرّاء الحرب أو حتّى هنا في لبنان، وقد مرّوا بظروف صعبة جعلت من سلوكهم إمّا عنيفاً نتيجة العنف الذي كان محيطاً بهم أو انطوائيّين، و أحياناً قد ينفجرون فجأة بدون أيّ سبب واضح.

فمن المسؤول بشكل مباشر عن معاناة الأطفال في بلاد العرب أوطاني؟ ومن المسؤول عن معاناة الطفل السوريّ بشكل خاصّ داخل أو خارج سورية؟؟

لن نستطيع - مهما حاولنا - الوصول إلى قلب الطفل السوريّ الذي حُرم من كلّ شيء، فكم من الأطفال يُتّموا نتيجة الحرب، وكم من الأطفال شُرّدوا لذات السبب وكم من أطفال سوريّين يعيشون بلا منازل تحميهم أو مدارس تعلّمهم؟!

ولكن!

إلى متى ستبقى عيون أطفالنا حبيسة الدمعة؟ ونبقى نحلم بالهروب لأوطان أخرى لنحمي أطفالنا فيها من ذلّ بلادنا العربيّة؟ ربّما نكون غرباء في تلك البلاد الأجنبيّة لكنّنا على الأقلّ نعامل كبشر فيها وهذا هو المهمّ، والأهمّ لأطفالنا هو العيش في مكان بعيد كلّ البعد عن الأرض العربيّة أرض الإذلال ودموع الأطفال، لكن هيهات فالقلّة القليلة تستطيع الوصول إلى تلك البلاد الأخرى، ومن يبقى لاجئاً في إحدى دول الجوار سيستمرّ في معاناته وذلّه في أجحار تشبه البيوت وأماكن تشبه الأوطان، لكنّها بعيدة كلّ البعد عن الإنسانيّة.

يارا جرعتلي

كلمة مختصرة في مسألة إنكار الطائفيّة

تتوزّع الآراء حول مسألة الطائفيّة في سورية بين من يراها واقعاً موجوداً وبُعداً أساسيّاً محدّداً لما يحصل منذ آذار من عام ٢٠١١، وبين من ينكر وجودها تماماً.

ينقسم الفريق الأوّل إلى فئتين: فئة تتّهم النظام بالطائفيّة (كعلويّ) وبالتالي تتّهم الطائفة العلويّة بأكملها بالطائفيّة. وفئة ثانية، وهي على الأغلب مؤيّدة للنظام، تتّهم الثورة والمعارضة بالطائفيّة ولا ترى محرّكاً لهما سوى السلفيّة التكفيريّة وكره الأقلّيات الدينيّة.

أمّا الفريق الثاني، الذي يُنكر وجود الطائفيّة - على الأغلب - هذا الفريق، مكوّن من أشخاص لديهم دوافع وطنيّة مثاليّة زائدة تمنعهم من أن يكونوا واقعيّين (الشعب السوريّ واحد) ومن الاعتراف بوجود هذه الظاهرة (ربّما تسبّب لهم جرح نرجسي). ضمن هذا الفريق أيضاً هناك أشخاص يحاولون إنكار الطائفيّة بأيّ شكل كان، حتّى أصبحوا مهووسين في هذا الانكار ويتّهمون كلّ من يختلف معهم في هذه القضيّة بالطائفيّة.

هؤلاء المهووسون في إنكار الطائفيّة غالباً ما ينخرطون في تحليلات إيديولوجيّة ماركسيّة وتحليلات طبقيّة عقيمة وبعيدة كلّ البعد عن الواقع أو في كتابات مطوّلة ومعقّدة ومفلسفة ومتفلسفة بحيث تقرؤها مرّة ومرّتين وثلاث ولا تفهم ما يريدون منها! وربّما هذا التعقيد والتفلسف الزائد في تناول هذه المسألة هو استراتيجيّة دفاعيّة ومحاول للهروب من مواجهة الواقع.

أغلب الظنّ، أنّ الانكار بهذا الشكل العُصابيّ المرضيّ ليس إلّا لدوافع طائفيّة دفينة (الانتماء باللاشعور لطائفة مُتّهمة بالطائفيّة)، فأكثر من ينكر اضطهاد المرأة من قبل الرجال هم أولئك الرجال الذين يشعرون أوّلاً أنّهم من فئة الرجال. ظاهرة الطائفيّة موجودة وهي من أخطر الظواهر التي يعاني منها المجتمع السوريّ قبل وبعد الثورة، ولكن لا يمكن اعتبارها أبداً ولا بأيّ شكل «كبعد أوحد يحرّك الأفراد السوريّين والفئات الاجتماعيّة والقوى السياسيّة». على العكس، يتداخل هذا البعد مع غيره من الأبعاد والعوامل السياسية والاقتصاديّة والثقافيّة والاجتماعيّة والنفسيّة ويزداد تعقيداً بتشابكه معها.

إنكار ظاهرة الطائفيّة كما يفعل بعض «مثقّفي» أو بالأحرى متثاقفي اليسار الماركسيّ ليس حلّاً لها، وإنّما تهرّب فاضح من مواجهة مشكلة تتطلّب منّا الجرأة والهدوء والوعي في التحليل. علاج أيّ مرض يبدأ بالاعتراف بوجوده ومن ثمّ البحث عن أسبابه وتحليل العوامل المتشابكة التي أدّت لنشوئه، ومن ثمّ اقتراح حلول علميّة وعمليّة؛ توصيف الواقع لا يعني أبداً الانحياز له.

عزّام أمين

عريس صفقة

المرأة السوريّة أو الجنس الآخر بعد الرجال أو كما يحلو للبعض أن يسمّيها الضلع القاصر أو الواقعة تحت قيامة الذكر، شاركت في الثورة منذ بدايتها وفي كلّ مجالات العمل المدنيّ ودفعت ضريبة لا تقلّ عن الرجل على أيدي نظام الطاغية استشهدت واعتُقلت، أعيقت وكـأيّ مواطن مظلوم ومستعبد استبشرت بالثورة لأنّها ثورة حرّيّة ولكن خاب أملها، إن كان في الداخل أو الخارج، ففي الداخل وبعد سيطرت كتائب الإسلام السياسيّ على أغلب المناطق المحرّرة وجدت المرأة نفسها تحت حيف من نوع آخر وتختلف وطأته حسب تشدّد هذا الفصيل المسيطر أو ذاك.

طفلات للزواج

في المناطق المحرّرة بدأ الخوف والقلق ينتشر بين الأمّهات اللواتي فقدن المعيل وفُرض عليهنّ مسؤوليّة لم تكن بالحسبان، تقول أمل: (أمّ لخمسة أطفال من سراقب عاشت في حلب ثمّ نزحت عائدة إلى سراقب) عن وضعها «بعد استشهاد الأب وما وصلت إليه الأحوال في مدينة حلب قرّرتُ العودة مع بناتي إلى بلدتي، وهنا بدأت المشاكل بالتزايد فالبنات كبرت وأصبحت الأنظار تتوجّه إليهنّ وهذا الوضع تسبّب لنا بعدّة مشاكل ممّا جعلني أقرّر تزويجهنّ لأوّل عريس يتقدّم لخطبتهنّ» وعند سؤالنا لها عن أعمار الفتاتين التوءمين بدأت تتهرّب من الجواب بقولها «صاروا صبايا ... اسم الله عليهن ولازم ينستروا لأنو ولاد الحرام كتروا هالأيام» وتضيف «خوفي على التوءم أن تصاب إحداهما بأذى، أو أن يتحدّث الناس علينا جعلني أتّخذ هذا القرار إضافة إلى أنّنا لا معيل لنا يحمينا من عوائد الزمن في هذه الأيّام الصعبة، وكما تعرفون أنّ الفتاة في سنّ الزواج تكون محطّ أنظار الجميع ولكي أحميها من أن تكون ضحيّة في مكان لا يرحم أحد» وهنا تروي لنا أمل قصّة جارتها التي تعرّضت ابنتها لمضايقات من البعض وكيف بدأ الناس يتداولون قصّتها ممّا أدى بها إلى فضيحة جعلت أهلها يغادرون البلدة، و «أنا لا أريد أن أصل إلى ما وصلوا إليه». غيداء وسناء التوءمان اللتان لم يتجاوز عمرهما ١٤عاماً، هكذا تقول المعلّمة ندى: «عندما عادت أمّ التوءم إلى البلدة كان عمر الفتاتين ١٢ عاماً، جاءت إلى المدرسة وسجّلت البنتين، وبعد فترة بدأ التوءم بالغياب المتكرّر عن المدرسة حتّى في الأحوال العاديّة التي لم يكن فيها قصف، عندها قرّرتُ الذهاب لزيارتهم ومعرفة سبب الغياب، أفاجأ بـأنّ والدتهما قرّرت منعهما من الذهاب للمدرسة ليس بسبب القصف وإنّما لأسباب أخرى تتعلّق بسمعة البنتين، وكانت الصدمة كبيرة عندما سمعت انّها قد زوّجتهما لأوّل عريس تقدّم لهما، لقد زوّجت الفتاتين، إنّها كانت سعيدة بهذا الفعل وكانت تقول: «زوّجتهم وارتحت من همّهم ... بلا فضايح وبلا رجم»

هذا الوضع لا يقتصر على غيداء وسناء فقط فمعظم الأهالي في الداخل المحرّر يتوقون لتزويج بناتهم في سنّ مبكّرة لأسباب عديدة منها عدم القدرة على تحمّل المسؤوليّة والأهمّ من ذلك الخوف من الفضائح وبالتالي التعرّض للمساءلة، إضافة إلى صعوبة إكمال الفتاة تعليمها في الجامعات والمخاطر التي قد تتعرّض لها أثناء ذهابها إلى الجامعة ومخاطر الطرق وصعوبة المواصلات...

صفقات الخوف

هذا غيض من فيض، عن وضع الفتاة في الداخل، أمّا ما تتعرّض له المرأة في الخارج فهو أمر آخر، «أحـلام» المرأة النازحة من «دومـا»، أمّ لطفلين، تحدّثنا عن مأساتها ونزوحها الأوّل، قائلة: بعد أن أدركت تماماً أنّني إن بقيت في دومـا فسوف تكون حياتي مهدّدة بالخطر وبعد أن علمت بأنّ زوجي قد تمّ اعتقاله قرّرت الهروب بأيّة وسيلة كانت، ذهبت إلى لبنان وسكنت في البقاع حيث وجدت مكاناً أقمت فيه مع الطفلين، بدأت أبيع قطع مصاغي الذهبي قطعة .. قطعة، هكذا حتّى نفذ كلّ ما عندي من مال، وعندها لم أجد أمامي إلّا سلال الإغاثة، فكانت مصدري الوحيد لتأمين قوتنا اليوميّ. تضيف «أحلام» قائلة: أطفالي صغار جدّاً لا أستطيع تركهم والبحث عن عمل – هذا إن وجدت – وبدأت معاناتي عندما طلبت من الشخص الذي يقدّم لنا سلّة الإغاثة المساعدة في البحث عن عمل، فبدأ بالتحرّش بالكلام الواضح، يقول لي: «لو تسمعين مني فقط فأجعلك لا تحتاجين شيء، بل وأكثر من ذلك» وتخبرني أنّ ذلك تكرّر لعدّة مرّات بل وطلب مني أن أخرج معه بسيّارته الفخمة المفيّمة ولن أحتاج لأحد بعد ذلك، تقول أحلام «عندها بدأت أشعر بالخوف والقلق وبدأ يتبادر لذهني ما يمكن أن يفعله وخصوصاً أنّني وحيدة، هنا قرّرت ترك مغادرة المكان والهروب رغم مخاطر الطريق إلى تركيّة لأعيش مأساة من نوع آخر». هذا عن أحلام الدومانيّة.

الشيخ والسلعة

أمّا ما تعرّضت له «هبة» فهذا شأن آخر، وهي فتاة في مقتبل العمر نزحت من حلب لوحدها إلى تركيّا لتسكن مع قريبة لها في أنطاكية، وبعد أن استقرّت عندها، بدأت تحلم بعمل يجعلها تعتمد على نفسها، فما كان من قريبتها إلّا أن منعتها من البحث عن عمل، تروي لنا «هبة» قصّتها كالتالي: «عندما بدأت بالبحث عن عمل شعرت أنّ قريبتي فقدت صوابها، في البداية لم أعلم لماذا وسرعان ما تبيّن لي الأمر لقد كانت تخطّط لأشياء أخرى»، وعند سؤالنا لها عن ماهيّة هذه الأشياء لم تصرّح بها في بداية الأمر، لقد كانت تخجل من الحديث عنها، بعدها قرّرت الحديث بعد أن اطمأنّت أنّنا لن ننشر اسمها الحقيقيّ، لتخبرنا قائلة: «لقد كانت في كلّ يوم تدعو أشخاصاً لزيارتها، يأتي هؤلاء الأشخاص لبيتها، وفي كلّ يوم أجدها قد وجدت لي العريس (اللقطة) طبعاً والشيخ معها ومستعدّ دائماً لعقد الزواج أو بالأحرى للصفقة، هذا الزواج الذي لن يستمرّ إلّا لأشهر «بالمشرمحي بيع سلعة»، وبعدها يتمّ طلاقي على يدّ نفس الشيخ لأباع من جديد وبصفقة جديدة، حاولت الهروب منها ونجحت في ذلك، لكنّي الآن بـدون عمل وبـدون مـأوى أسكن عند إحدى صديقاتي ولا أعرف إلى أين ستصل بي الأمور؟؟؟

فلك الخالد

دروس التفكيك، الإنسان والعدميّة في الأدب المعاصر

كتاب "دروس التفكيك – الإنسان والعدميّة في االأدب المعاصر" الذي يعالج فيه الدكتور حسام نايل نقديّاً ثلاثيّة الروائي إدوار الخرّاط: «رامة والتنّين، الزمن الآخر، يقين العطش» من منظور مفاهيم التفكيك ومفاهيم يبتكرها مثل: أنطووجودي، أنطوبلاغي، أنطوزماني.

يبدأ الناقد الدكتور حسام نايل نقده في كتابه «دروس التفكيك، منشورات دار التنوير ٢٠١٤» من لحظة هجرانه دروس النقد الأدبيّ الرتيبة في جامعة القاهرة، تلك الدروس التي تسكن إلى نظام التشابه - أو المطابقة - الذي يُشيع الاطمئنان في وحدة الوجود وسكونه القارّ إلى الاكتمال المكتمل لنظام الحقيقة ولتمام المعنى والحضور، تأسيساً على التطابق بين الدالّ والمدلول، فالتطابق بين العلامات والأشياء. فينحذف الناقد في قلقه إلى قراءات كثيفة في الأدب والفلسفة حتّى عثر على بهجته التي تنسكب في الكتاب من أوّله إلى آخره، والتي تمثّلت في التعرّف المتزامن إلى نصوص الروائيّ إدوار الخرّاط التي هي - بحسب الناقد - أفاع تفكيكيّة، وإلى كتابات جاك دريدا وغيره في التفكيك التي نشأت ونمت في محاولاتها تقويض فلسفة الحضور التي هيمنت على الفكر الأوربّيّ منذ أفلاطون إلى هيجل، وهي التي اشتغلت على أنّ فكر الإنسان هو مركز الكون، فالوعي - والحالة هذه - لا يعترف إلّا بما يحضر فيه، فيأخذ شكل الدلالة والمعنى والقانون والهويّة فيتطابق مع مقولاته.

هذا التفكيك الذي سعى إلى تقويض الميتافيزيقا فأنشأ فلسفة الغياب، التي تشتغل من الآخر المغاير الذي يستمرّ في نأيه عبر صيرورة الاختلاف الذي هو - بحسب دريدا - أصل الأشياء المركّب والمختلف الذي لا يخضع لشروط سابقة عليه، والذي لا يمكن الذهاب أبعد منه، والذي يتضمّن معنى الإرجاء ومعنى الأثر، وبالتالي لا يمكن التيقّن ممّا نقول، لأنّ اللغة محكومة بالاختلاف بين الدالّ والمدلول، ولأنّ المعنى والحضور مسكونان بالإرجاء وغياب المعنى.

والناقد يبتكر - إضافة إلى توظيفه مفاهيم التفكيك - مفاهيم مثل: العودة الجدليّة، التفاوض، أنطوزماني، أنطولغويّ الذي يعني عنده: أن الوجود لا يظهر إلّا في اللغة «فاللغة مسكن الوجود ومقرّه»، وعلى هذا فإنّ «بنيات المكتوب هي نفسها بنيات وجود الموجود» هذه العلاقة التي يعبّر عنها بمفهوم «أنطوبلاغي»، دون أن ينشغل بالكيفيّة التي ولّد فيها هذه المفاهيم من نسق مفاهيم التفكيك، وبالتوافق أو بالتعارض مع مفاهيم الميتافيزيقا، وهو بالإضافة إلى هذا يشترط على قارئ نصّه: أن يكون قارئاً للنقد الأدبيّ حاذقاً ومخلصاً و «له خلفيّة فلسفيّة معيّنة» وكأنّه قد كان يتبع أثر إدوار الخرّاط الذي كان قد رأى: أنّ قارئ أعماله لا بدّ أن يكون قارئاً للفلسفة وللشعر لكي يتمكّن من التفاعل مع نصّه في النظر لا في النظريّة.

بهذه المحمولات يتناول الناقد ثلاثيّة الروائيّ إدوار الخرّاط: «رامة والتنين، الزمن الآخر، يقين العطش» فيرى أنّها تنبني على تجربة العشق بين الرجل ميخائيل والمرأة رامة، هذه التجربة العشقيّة التي تعطي للنصّ كامل طاقته، والتي تظهر وتتشابك منها وفيها أسئلة المعنى والحضور والحقيقة، هذه الأسئلة التي تثار في كينونة العاشق المشدود بحبال القدر إلى الآخر المعشوق الذي لا يحضر إلّا لكي يغيب، وعلى هذا فتجربة العشق تنهض وتنكتب من قراءة العاشق للأثر المنقوش في ذاكرة دواخله الأليفة فينشئ بقراءته وكتابته تبادلاً بين بنيات حرفيّة وبنيات مجازيّة تقوده إلى قصده الذي يسعى إليه بدأب وإصرار، وهو اكتمال المعنى وتماميّة الحضور في الالتحام الجسديّ الشهويّ بين العاشقين الذي يسمّيه الناقد «كينونة الواحد» الذي هو إشكال ميتافيزيقيّ يتحكّم ببنيات النصّ من البداية إلى الختام، والذي يمسك به – الناقد - من رصده لتمفصلات النصّ البنيويّة التي تشير كذلك إلى حيدان النصّ عن قصده بضلال يقوده منذ البدء ويصمّمه.

وهو يؤكّد قراءته باقتباسات مطوّلة أو قصيرة من نصّ الخرّاط الذي بتكوينه لا يطاوع الاقتباس، لأنّ الاقتباس منه سيترك ثغرة فاغرة لا تردم، هذا بالاتفاق مع إدوار الخرّاط الذي كان قد وصف نصّه بخطّ الأرابيسك في تشابكاته وامتداداته المفتوحة على اللانهائيّ، وبالتوافق - أيضاً - مع الدكتور حسام نايل الذي قرّر أنّ نصّ إدوار الخرّاط: أفاع تفكيكيّة، الذي يعني فيما يعنيه أنّه نصّ يختلف عن النصّ التقليديّ المبنيّ على نظام المعنى والحضور والحقيقة، والذي يمكن الاجتزاء منه دون خلخلة معناه، مادام الجزء فيه يعبّر عن الكلّ في معماره الصاعد.

والناقد - إلى ذلك - قد تجاهل بنيات النصّ السرديّة، وتمازج النثريّ بالمجازيّ، واختلاطات الأزمنة التي تتجسّد في الحضور اللافت للماضي والحاضر والمستقبل في كلّ فقرة، وروغان المعنى الذي يغيب عن الذي يحدث، ويتأكّد في الذي لم يحدث، وفي الذي لا يمكن أن يحدث أبداً. ثمّ الإفقار النقديّ لحضور «رامة» المتعدّد في النصّ والذي يمكن أن يوحي أنّها تكثيف موحّد لتعدّد الوجوه والتواريخ واللغات في تجارب ميخائيل العشقيّة والتي أحضرها الفقدان بعد أن غابت، فتجسّدت في «رامة» التي خلقها الروائيّ ونجح في إيهامنا أنّها هي الوحيدة الواحدة.

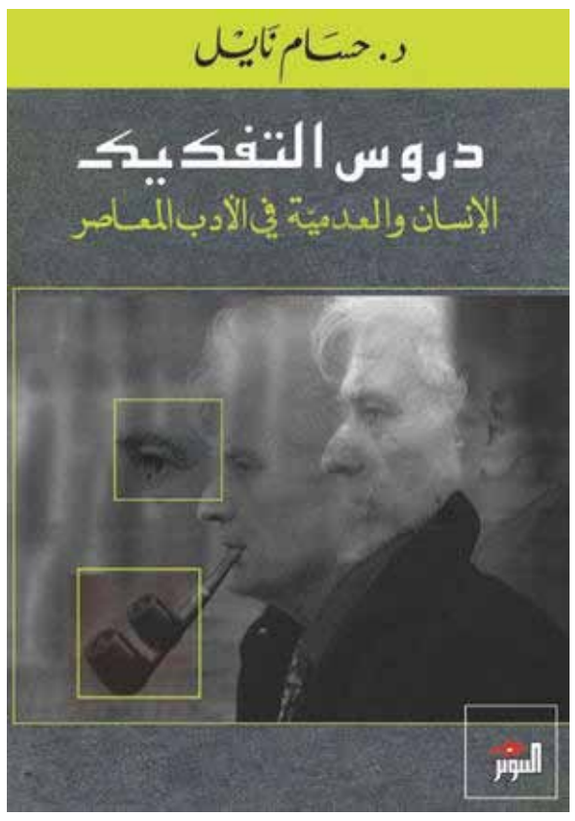

وبعد هذا، هل انبنى الضلال النقديّ، الذي انحرف عن قصده، على فكرة غير مفكّر فيها، هي: أنّ الأنساق الفكريّة في العالم جميعها متماثلة وتنحكم بنسق الفلسفة الأوروبّيّة؟ الحال الذي دفعه إلى معالجة النصّ الإبداعيّ كأنّه منظومة فلسفيّة من منظور فلسفيّ فكانت النتيجة اختزالاً وإفقاراً وعنفاً مفرطاً، كان قد أكّده الدكتور نايل حين كتب: «نحن - شاء الكاتب أم أبى - أمام ذات تتغنّى بذاتها»، الأمر الذي يفرض على القارئ أن يختم قراءته بالتساؤل: هل كان الناقد وفيّاً لرهانه الذي بدأ به الكتاب؟ ذلك الرهان الذي سماه «الإخلاص المزدوج» الذي يعنى به إخلاصاً للنصّ وللقارئ في الوقت عينه.

فاضل الفاضل

سفير الغناء الجزراويّ

تعتبر الجزيرة السوريّة مهداً لأقدم الحضارات الإنسانيّة التي خلّفت المهمّ من التراث الغنائيّ، ويعتبر الفنّان إبراهيم كيفو سفير الأغنية الجزّراويّة، فعدا عن كونه يغنّي بعدّة لغات فهو كذلك ملمّ بتفاصيل الغناء بهذه اللغات، ويحدّثنا عن الغناء باللغة الكرديّة فيقول: أكثر ما يتميّز به الغناء الكرديّ هو الغناء الملحميّ، فهناك أغانٍ ملحميّة طويلة ملحّنة، وتؤدّى بدقّة فريدة من حيث شعرها ولحنها، ولها أنواع منها: أغاني تحكي قصص حبّ وعشق وحرمان، مثل ملحمة (مموزين) الشهيرة وملحمة (سيامند وخجه) وأغان أقرب إلى الأساطير تتحدّث عن حروب ومعارك وأبطال شعبيّين، وتسمّى شارا مثل (درويش عبدي)، وهذه الأغاني غالباً ما تكون غير موقّعة وأغاني الحزن والمآتم وكذلك أغاني المديح والأغاني الدينيّة باللغة الكرديّة (الديانة الإسلاميّة والإيزيديّة والمسيحيّة)وأغاني الأفراح والأعراس والتي غالباً ما تكون إيقاعاتها سريعة راقصة وجملها الموسيقيّة سهلة الحفظ والأداء.

الغناء الآشوريّ: وهو الأقدم والأصعب غناء، ويكاد يقترب سلّمه الموسيقيّ من السلّم الخماسيّ، وهناك مجمّع كبير لألحانه وموسيقاه التاريخيّة منذ القدم، فكتاب «الخدرا» مثلاً فيه عدد لا يحصى من الأغاني والألحان لجميع الأشكال، الأغاني الدينيّة الموغلة في القدم الدينيّة، وأهمّ ما يميّز الغناء الآشوريّ هو (الراوي)، وله أنواع عديدة أهمّها الديوانيّ، وهناك عدد لا يُستهان به من أغاني الدبكات المتنوّعة مثل أغاني دبكة (الشيخاني وأغاني دبكة الباكية ودبكة شرا).

وأمّا بالنسبة للغناء السريانيّ: فهناك بحر من الألحان والأغاني وبالأخصّ التراتيل الدينيّة: فهناك مدارس للأغنية السريانيّة القديمة والحديثة، فالقديمة منها مدرسة «مار أفرام» السريانيّ الأبّ الروحيّ للألحان السريانيّة الذي ألّف ولحّن الآلاف من الألحان السريانيّة، وهناك كتاب بأجزائه مجمع للألحان السريانيّة يسمّى (البيت كاز). وأيضاً هناك بعض الروّاد الجدد للموسيقى السريانيّة والغناء، فمنهم الباحث الكبير الأستاذ نوري إسكندر الذي دوّن موسيقيّاً كتاب بيت كاز، وسهّل دراسته، ووضعه بين أيدي الموسيقيّين للبحث والدراسة.

وعن الغناء باللغة الأرمنيّة لغة أجداده يقول إبراهيم: أتى الأرمن من موطنهم، وحملوا معهم فلكلورهم وتراثهم الشعبيّ ورقصاتهم الجميلة وآلاتهم الموسيقيّة قبل أن تحلّ عليهم المآسي، وهناك كبار الموسيقيّين الأرمن الذين وضعوا الكثير من الألحان وأثّروا بشكل واضح في الموسيقى الشرقيّة، منهم طاطيوس أفندي وكيورك أفندي، وقد كتبوا مؤلّفاتهم على عدّة صيغ وقوالب موسيقيّة ومؤلّفات رائعة أمّا بالنسبة للغناء العربيّ فيقول :هناك عدّة ألوان للغناء العربيّ في محافظة الجزيرة (الحسكة) منها الماردينيّ(الماردللي): فهناك القديم منه، والكثير من أغانيه ككلّ الغناء الشعبيّ لا يُعرف له كاتب كلمات ولا ملحّن، ولكن هذا الغناء منظّم بشكل متماسك وعلى إيقاعات متنوّعة بسيطة ومركّبة، فمثلاً هناك أغنية مشهورة جدّاً (صبيحة) إيقاعاتها من فصيلة السماعي الثقيل (٨/١٠) أحد أهم الضروب في الموسيقى الشرقيّة، ويسمّى هذا الإيقاع (الجورجينا)، وأيضاً هناك مئات الأغاني الشعبيّة والفلكلوريّة بهذه اللهجة المحبّبة، أمّا القسم الثاني من الغناء العربيّ البدويّ الجميل وبأنواعه الكثيرة: فهناك بعض الأغاني الخاصّة بمنطقة الجزيرة، ويتميّز تميّزاً واضحاً بموسيقاه وإيقاعاته لأنّ كثيراً من عرب محافظة الحسكة دخلوا في حالة استقرار، وبنوا البيوت الحديثة الإسمنتيّة على ضفاف نهر الخابور ومناطق المالكيّة والقحطانيّة وعلى ضفاف نهر دجلة، فعملوا لهم لوناً خاصّاً في الغناء بعيداً عن التأثّر نوعاً ما بالغناء العراقيّ، مثال ذلك الأغنية الشهيرة الجزراويّة (كلّ الهلا بالناهي)، أمّا باقي الألوان مثل (الموليّا والسويحلي والعتابات و النايل) النفحة العراقيّة واضحة فيها وجزء لا يتجزّأ منها، ويتابع هناك تفاوت في مستوى أداء الأغنية الجزراويّة باللغات السابقة والسبب الأهمّ ليس هو ضعف المؤدّي أو المطرب، ولكن هناك عوامل عدّة، أهمّها ندرة كتّاب كلمات الأغاني في الجزيرة باللغات (العربيّة، الكرديّة، الآشوريّة، السريانيّة)، وهناك تقصير إعلاميّ في ترويج هذا النوع من الأغاني في الجزيرة من قِبل وسائل الإعلام إن كان في الإذاعة أو التلفزيون، والتواصل الصحيح بين صاحب الاختصاص والجمهور غير جيّد وغير متاح بسهولة، وعن أهمّ الأسماء التي ساهمت في ترويج الأغاني وتطويرها فيقول إبراهيم: في مجال الأغنية العربيّة وألوانها، أذكر مثلاً الفنّان (جان كارات بالأغنية الماردليّة) (الفنّان فوزي البكري باللون البدويّ) والفنّان (آرام ديكران وسعيد يوسف باللون الكرديّ) والفنّانين(أدور موس ويوسف إيشو بالغناء الأشوريّ) وفرقة (الكرونك للغناء الأرمنيّ بمدينة القامشلي).

حمل الفنّان إبراهيم كيفو سفير الأغنية الجزّراويّة أغانيه بكلّ اللغات السابقة، الآتي من عمق حضارة الجزيرة ليقدّمها على المسارح المحلّيّة والعالميّة ولسان حاله هذه هي سورية التاريخ والحضارات والعراقة، ولأنّه كذلك حصد جوائز محليّة وعالميّة أكثر من أن يتّسع لتعدادها هذا المقال.

أسعد شلاش

مدينتي

عبدالباسط الصوفي (1931 – 1960)

ولد الشاعر في مدينة حمص، وتوفّي في مدينة كوناكري (عاصمة غينيا).
أنهى مراحل تعليمه قبل الجامعيّ في مدينة حمص عام ١٩٥٠، ثمّ التحق عام ١٩٥٢ بالمعهد العالي للمعلّمين بدمشق، وتخرّج فيه من قسم الآداب ١٩٥٦.
عمل مدرّساً للغة العربيّة في مدارس مدينة حمص المتوسّطة والثانويّة، وفي مدينة دير الزور، ثمّ بعثته وزارة التربية إلى غينيا لتدريس اللغة العربيّة، وهناك أصيب بانهيار عصبيّ أدّى به إلى الانتحار.
أعيد جثمانه إلى مدينة حمص ودفن بها بعد شهرين من وفاته.

ومن قصائده:

نحن وأنتم

تقولون: فَجَّرَ أحقادَهُ وألقى،
إلى الريح أصفادَهُ
تقولون: لوَّحَ بالقبضتينِ
وتنتظرُ الشمسُ، ميعاده
تقولون: كيف يهزُّ المسودُ على
صخرة الحقّ أسياده؟
ويهدر في لُجِّ طوفانهِ ويأخذ،
من لهبٍ، زاده؟
يقولون: مزَّقَ آلامَهُ ومِنْ
مِزَقٍ، صاغ أكبادَه
قطيعٌ أيفلتُ هذا القطيعُ يقود،
إلى الذبح، مَنْ قاده!؟
أعبدٌ، يُزيح ظلامَ القرونِ وتلطم
كفّاه، جلاّدَه
أيأبقُ، مَنْ كان، في طَوْقِهِ يقدِّم،
للسَّوْط، أجساده!!
هو الشعب، يهزأ بالمستحيلِ
وتبني البطولاتُ أمجادَه
سلامٌ، على حاقدٍ، في الشعابِ
بأوراسَ، فَجَّرَ أحقاده
سلامٌ، على ثائرٍ، في الجنوبِ
يُروِّض، للثأر، أجياده
سلامٌ، على مُثْخنٍ، في العراقِ تلفُّ
الخيانةُ بغداده
سلامٌ، على معصمٍ، في الحديدِ
يقيِّدُ، بالعار، حدّاده
سلامٌ، على جارفٍ، في المحيطِ يجمِّع
في الصخر إزْبادَه
على نخلةٍ، في رمال الخليجِ على
شاعرٍ، ضمّ أوراده
سلامٌ على وطنٍ خالدٍ يردّ،
لعدنانَ، أحفاده
تفلّت، في صرخة العنفوانِ، مع
الله، أبعاده

مدينتي

مدينتي، لا تملكُ الذَّرّهْ،
مدينتي، طيّبةٌ، حرَّهْ
لا تصلب الإنسانَ في آلةٍ أو
تمضغُ الأحقادَ، في فِكْره
مدينتي، نبضاتُ قيثارةٍ حيناً،
وحيناً ضحكةٌ ثرَّه
قديمةٌ، كالحبِّ، ميلادُها لمّا
صحا درب الهوى مَرَّه
أرجوحةٌ، أفياؤُها الواجفهْ،
مواكبٌ، أضواؤُها الزاحفه
قد كُدِّس الوردُ بشُرفاتِها، ما
أرهبتْها السحبُ العاصفه
تدفَّقتْ، والفجرُ، في مهدِهِ،
أغنيّةً، وارتعشتْ عاطفه
يا دفءُ، لملمْ قلبَ أطفالها، ولوّنِ
الدنيا، رؤًى وارفه
مدينتي، تشدُّ أوتاري
مجدولةً، من خُصَلِ النارِ
ضلوعُها، حصْني، وأسواري
وقلبُها، بيتي وأزهاري
تمرَّدتْ، كِبْرُها جبهةٌ
ولوَّحت، قبضةَ أقدارِ
مدينتي، بعضُ حكاياتها: أقام
مجدي، ألفُ جبّارِ

انطلاق

لا تسأليني، أن أهدِّمَ جبهتي
أأسير خلفكِ، بالظنونِ وأشهقُ!
وأشدّ أعصابي، إلى قيثارةٍ
وترًا، بأنغام الهوى يتمزّق؟
أغلقتُ أغلقتُ الضلوع وأجفلتْ
كفّي، على صدري، وقلبي مُغلق
أسطورةُ الحبِّ المجنّح عِفتُها
ونثرت أوراقي، ومات الزنبق!
لا تسأليني أن أمرِّغَ مقلتي
أيذوب في عيني الضياء ويُخنق؟
يا بنتَ ماضيَّ الذي شيَّعتُه
لم يبقَ، في جفنيكِ حلمٌ مشرق
تستنزفين الوهم في سأم الدجى
وتُهدْهِدين الجرحَ، وهْو يُحَدِّق
من أنتِ؟ أنت هنا حطامُ قصيدةٍ
سوداءَ لاهثةٍ، وحرفٌ مرهَق

بدنا حكي

السوريّ يموت

ألم نقل لكم؟؟!!

ألا تذكرون؟ حذرناكم ولم تنتبهوا! إنّكم تسلّمون البلد للظلاميّين، وتشاركون في حمّام الدم المتفجّر في سورية...

هذه وغيرها من التخاريف التي بات يطالعنا فيها كلّ يوم بقايا اليسار المتورّم، وبقايا اليسار المهزوم، وجمع الثوّار الفيسبوكيّين المنتشرين في بقاع أوربّا..

صدقّوني، لازِمتكم هذه، ونصائحكم المعلّبة مسبقة الصنع، ما عادت تنفع، قبل أن تقولوا لنا وتذكّرونا متنا، وبعد أقوالكم الاستشرافيّة ووصاياكم الخالدة متنا!

السوريّ يموت في كلّ مكان،

في البحر وفي النهر، في الجبل وفي السهل، في الملجأ، وتحت الأنقاض، يموت في معركة، ويموت وهو يهرب من معركة.. يموت وهو يغازل زوجته، ويموت وهو يعاكس ابنة الجيران، يموت وهو يحمل الكاميرا ويموت وهو يحمل المدفع، السوريّ يموت..

السوريّ الباحث عن حرّيّته ومواطنته يموت،

في أيّام السلميّة مات، في أيّام العسكرة مات، ببراميل الموت مات، وبجرار جهنم مات، بغاز الكلور مات، في الزنازين، تحت التعذيب مات، في فراشه وبين أولاده مات، السوريّ يموت..

طالما أنّ هناك دكتاتوراً فاقد الصلاحيّة في سورية سنموت ونموت..

وطالما أنّ هناك من ينصّب نفسه إلهاً صغيراً باسم الله سنموت ونموت...

وطالما أنّ هناك متقوّلين يتفاصحون حين يحلو لهم، ويخوّنون حين يحلو لهم، ويصرعون رأسنا بمعلّقات من تحليلات مريضة، سنموت ونموت..

تعالوا لا نتشظّى كثيراً..

تعالوا لا نختبئ خلف قراءات متخيّلة..

القاسم المشترك الأعظم في موتنا هو الدكتاتور الأبله..

أبناء الثورة، يحبّون الحياة، هم ضدّ الطاغية والدكتاتور معاً، ضدّ الظلاميّين والإرهابيّين، هم ما زالوا يسعون نحو هدفهم الأوّل نحو سورية الجديدة..

هم ما عادوا يتحمّلون دروسكم الغبيّة!!!...

حسين برو

لكلّ مقام مقال

أبو الشمقمق، وشيخ الدجاج

تروي كتب التاريخ فيما تروي عن شاعر هجّاء يدعى «أبو الشمقمق» عاش بين البصرة وبغداد أيّام هارون الرشيد، ورغم معاصرته لشعراء أمثال بشّار بن برد وأبو العتاهية، إلّا أنّ صيته لم يذع مثلهم، ولعلّ ذلك يعود لمواقفه المعارضة من أهل السياسة والحكم وولاتهم من الوعّاظ والفقهاء معاً. يُذكر أنّه كان يجلس مرّة في منتصف جسر الرصافة ببغداد يأكل بين المارّة، إذ صادفه فقيه بغداديّ ممتعضاً، فخاطبه؛ كيف تجرّأت يا أبا الشمقمق أن تأكل في وسط الشارع، والمؤمنون يمروّن بك.. اخجل من نفسك قليلاً.

أجابه «أبو الشمقمق»: لا أرى مؤمنين يا شيخ أنا لوحدي على الجسر! حدّق الفقيه بعينيه وأخذ يتأفّف من عناده وجدله.

صاح «أبو الشمقمق»: ألا تصدّقني؟ فلتنظر اذاً، ثمّ صعد إلى حافة الجسر ونادى بأعلى صوته: أيّها الناس هلمّوا لقد روي عن النبيّ أنّه قال من أخرج لسانه وأوصله إلى أرنبة أنفه كان من أهل الجنّة.

سارع كلّ من سمعه بإخراج لسانه في منظر ساخر تجد فيه الألسن تتصارع كي تصل للأرنبة، ولكن دون جدوى.

التفت «أبو الشمقمق» إلى الفقيه وسأله: هل هؤلاء مؤمنون حقّاً؟ تعال اجلس لنأكل سويّة.

يبدو أنّ انتكاب المجتمع العربيّ بوعاظ السلاطين - فكرهم وثقافتهم – أعظم أثراً وأضرب عمقاً في التاريخ ممّا يعتقده البعض، فذاتها الجماهير التي كانت ترفع ألسنتها لتلامس أرنبة أنفها، تجلس اليوم إلى شيخ يتحدّث عن دروسه المجيدة للدجاج، وحكاياته معهم، وتعليمهم الفقه والحديث، بل وتجد مثل هذه المشايخ من يدافع عنهم وعن قصصهم ويحاول جاهداً كي يجد لها مبرّرات وتخاريج مختلفة.

إذ لا تحتاج مثل هذه الجماهير لتقتنع بصواب الشيء وصدقه، سوى بادئة قدسيّة مثل، قال الله ورسوله، أو قال الشيخ الفلانيّ، حتّى تعتبر ما يرد بعدها حقيقة مطلقة الصواب، سديدة المنطق، عظيمة الحجّة. وقد كان مستبدو كلّ عصر أوّل زبائن هذه العقليّة، نظراً لانتفاعهم الكبير منها في تبرير حكمهم وتمرير ثقافة السمع والطاعة، نرى ذلك في رواج سوق مشايخ الدجاج وعمائم حسّون وصوفيّات البوطيّ إبان حكم آل الأسد، حيث يلتفّ ألوف الناس على حلقاتهم التي تناقش مواضيع مختلفة تبدأ من المذاهب العشرة في كيفيّة الوضوء وحتّى المراتب العشرة في الحبّ الإلهيّ، منسلخين عن واقع كان يعجّ بالمعطيات التي تتطلّب من يتصدّى لها، في غياب واضح متعمّد لأيّة قوى فكريّة وثقافيّة أخرى على الساحة الاجتماعيّة، إذ اقتصرت المنابر في سورية الأسد على الدينيّة منها كمرحلة أولى، ثمّ ليجري تفريغها من أيّ مضمون حقيقيّ في مرحلة لاحقة، ممّا شكّل فراغاً يمكّن كلّ مستبدّ من استمراره في الحكم، فبينما ينشغل هو بشؤون الحكم والسياسة، يتفقّه الشعب مسائل الطهارة والتصوّف.

من هنا يمكن أن نفهم دور الخطاب الدينيّ السائد في رسم الوضع المتأخّر للعالم العربيّ، وأن نرى أهميّة الدعوات المعاصرة لنقد التراث و بناء عقليّة عربيّة بديلة تستند على أسس منطقيّة وعلميّة، ورغم ما يظنّه البعض من أنّ مثل هذه الدعوات تقف بمواجهة مع الإرث الإسلاميّ، إلّا أنّها في الحقيقة تشكّل طوق النجاة له، فمع كلّ التطوّرات التي تعصف بالمنطقة وثقافتها اليوم، يقف الفكر الدينيّ أمام تحدّ هو الأكبر من نوعه منذ قرون، إذ لم يعد من الممكن نقل هذا الفكر إلى عصر جديد بدأت تلوح آفاقه دون عمليّات مراجعة جذريّة تستند في أسسها إلى معطيات العلم وأسلوب التفكير العلميّ، وإلّا فإنّ جلوس «أبو الشمقمق» وصاحبه على الجسر لن يكون له نهاية قريبة.

طريف العتيق

مصباح مصنوع من مادّة "عجيبة"

طوّر باحثون بريطانيّون مصباحاً يستهلك ١٠ بالمائة من الطاقة التي تستهلكها المصابيح العاديّة، ويحتوي المصباح خافت الإضاءة الجديد على تقنية إضاءة ثنائيّة الصمام (إل إي دي) على شكل فتيل دقيق مغطّى بمادّة الغرافين، التي توصف بأنّها «عجيبة». ومن المتوقّع أن يُطرح مصباح الغرافين في الأسواق بسعر أقلّ من المصابيح السابقة.

مرايا سوريّة في «بيتنا»

أقيمت في «بيتنا سوريا» مجموعة من النشاطات من خلال أسبوع «مرايا سوريّة» في الفترة من الخميس ٢٦ آذار إلى الإثنين ٣٠ آذار.

وافتُتحت فعّاليّات أسبوع «مرايا سوريّة» بأمسية موسيقيّة لـ ميترا أستينج وأسامة دادا وعدنان هورو، في السابعة مساءً في مبنى «بيتنا سوريا» واستمرّت حتى الثامنة والنصف.

في اليوم التالي – ٢٧ آذار - والذي وافق اليوم العالميّ للمسرح، أقيمت أمسية، في صالة «بيتنا سوريا» قرئت فيها كلمة للمخرج البولونيّ كريستوف ورليكوفسكي الخاصّة بهذه المناسبة، ثمّ قُدّمت قراءات مسرحيّة لنصوص عالميّة وسوريّة، واستمع الحضور إلى عزف منفرد على العود.

أمّا اليوم الثالث من الفعّاليّة، فأقيم في قاعة المؤتمرات في بلديّة الشهيد كامل التابعة لمدينة غازي عينتاب، عُرض فيها فيلم دفاتر العشّاق أو (حيطان سراقب) بعرضه الأوّل في السابعة من مساء الـ ٢٨ آذار.

وكان للشعر يوم الـ ٢٩ منه في صالة «بيتنا سوريا» حيث ألقى في هذه الأمسية كلّ من: وداد نبي ووائل قيس نصوصاً شعريّة، كما شارك الشاعر عبدالسلام حلّوم ببعض من قصائده.

وعرض فيلم ماء الفضّة، الذي نال العديد من الجوائز العالميّة، لوئام بدرخان والمخرج أسامة محمّد، في نفس الصالة، الإثنين ٣٠ آذار.

وعلى مدى أيّام فعّاليّات «مرايا سورية» استمرّ معرض لمجموعة «سوريّات» للأشغال الفنّيّة اليدويّة من الصوف والكروشيه والكنفا، في صالة معارض «بيتنا سوريا» في غازي عينتاب التركيّة.

«ليبيريا» تدعو إلى الامتناع عن الجنس

دعت ليبيريا الناجين من مرض الإيبولا إلى الالتزام الصارم بفترة من الامتناع عن الجنس بعد التعافي من المرض، وذلك وسط مخاوف من أن آخر حالة إصابة بالمرض في البلاد ربّما تكون قد نجمت عن الاتصال الجنسيّ. وكان أكثر من ١٠٣٠٠ شخصاً قد أصيبوا بالمرض في ليبيريا وغينيا وسيراليون حتّى الآن.

المدن المحرّرة

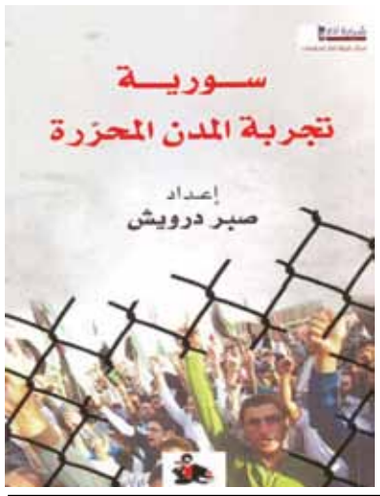

صدر حديثاً عن دار رياض الريّس، كتاب «سورية، تجربة المدن المحرّرة» ويتألّف من ستّة أقسام، على شكل مجموعة من الدراسات الميدانيّة لكتّاب سوريّين، من إعداد صبر درويش. تسعى الأبحاث إلى سبر تجربة التحرير من خلال المناطق السوريّة التي خرجت عن سيطرة النظام، في محاولة لقراءة هذه التجربة نقديّاً، وتقديم دراسات وشهادات ووثائق عن أوضاع تلك المناطق.

لأوّل مرّة يمرّ رأس السنة (أكيتو) ونينوى دون أهلها، والخابور وضفافه في عويل على أحفاد فرسان جيش النهرين، وكبرئيل موشي وللسنة الثانية بعيد بعيد عن أكيتو. الوطن، كلّ الوطن في حزن المأساة. لكن رغم الأهوال وجراحها لنا الأمل، كامل الأمل، بانبعاثه وبألوانه الذهبيّة. لكلّ الوطن أكيتو بريخو. لكلّ المعتقلين أكيتو بريخو. كلّ أكيتو وأنتم بخير.

أكيتو

خير،، سلام ،، أمن.... تسامح .. محبّة ،، تعايش ،، ازدهار،، صدق،، بناء،، نماذج من #كذبة_نيسان ولكم حرّيّة الاختيار.

رولا إبراهيم

ياريت يلّي عم بصير بسلميّة ... سلميّة الثورة السوريّة كذبة متل كذبات نيسان #سلميّة #سوريا

Abed-Alrahman

القادة العرب اتّفقوا على إنشاء قوّة عسكريّة مشتركة لتحرير سورية من الطاغية بشّار الأسد... كذبة نيساااان. إبداعات الثورة السوريّة . . . . . .

(فيديو؛ ٥ دقائق) شهادة طبيّة لأبطال الدفاع المدنيّ على مشارف مدينة إدلب، ٣٠ – ٤٠ إصابة بين المدنيّين أغلبهم من الأطفال، بعد استهداف سرمين وبنّش وما حولهما ثلاث مرّات بالبراميل المتفجّرة المحمّلة بغاز الكلور السامّ، بواسطة طيران الأسد؛ نداء على الضمائر الإنسانيّة: لا نملك إلّا كمامات عادية، وهي غير كافية.

https://www.youtube.com/watch?v=D8EaZ247ZGY

رئيس التحرير
بسّام يوسف

هيئة التحرير
بشّار فستق - غزوان قرنفل
ثائر موسى - عزّة البحرة

الاخراج الفني
منير الأيوبي

فريق العمل
سكرتاريا : نور العبدالله
التدقيق اللغوي : فلك الخالد
الموقع الإلكتروني : باسل العبدالله

الآراء الواردة في كلّنا سوريّون تعبّر عن رأي الكاتب و لا تعبّر بالضرورة عن رأي الصحيفة